ألبان كوسوفا

والحرب فى البلقان

مجدى نصيف



ميريت
للنشر والمعلومات

مجدى نصيف

ألبان كوسوفا

والحرب فى البلقان

ميريت للنشر والمعلومات
القاهرة ١٩٩٩

مجدى نصيف

ألبان كوسوفا
والحرب فى البلقان

ميريت للنشر والمعلومات

١٤ش شامبليون ت: ٥٧٥٣٥٠٢

القاهرة ١٩٩٩

المدير العام: محمد هاشم

تصميم الغلاف: مجاهد العزب

رقم الإيداع: ٩٩/٨٢٣٩

الترقيم الدولى: 977-5938-04-x

محتويات

	الصفحة
مقدمة	٥
[١] مقدمة:	١٥
[٢] الأرض والتاريخ والناس	٢٧
[٣] ميلوسيفيتش : مجرم حرب ينبغي تقديمه للمحاكمة	٣٣
[٤] بداية الانفجار	٥٥
[٥] العمليات الصربية والسيناريو المخيف	٦٩
[٦] الغرب ضد استقلال كوسوفو	٩١
[٧] دبلوماسية الضربات الجوية	١٠٩
[٨] الناتو يستعد	١٢٥
[٩] الاتفاق	١٥١
[١٠] خاتمة : ما بعد الاتفاق	١٦٧
[١١] الملاحق :	١٨٣
ملحق (١) التدخلات الأمريكية العسكرية	١٨٥
ملحق [٢] الشخصيات الأساسية فى اتخاذ القرار	١٨٨

مقدمة

أمريكا تريد أن تفرض هيمنتها على العالم

تريد الولايات المتحدة الأمريكية أن تفرض هيمنتها على العالم أجمع بعد نهاية "الحرب الباردة" من خلال "الناتو" الذى تريد أن يحل محل الأمم المتحدة. لذا دخلت أكبر مخاطرة منذ الحرب العالمية الثانية بتوجيه ضربات جوية إلى يوجوسلافيا، لإجبار القيادة الصربية على قبول شروط الغرب حول كوسوفو. وتعتقد الولايات المتحدة أنها يمكن أن تكرّر ما حدث . فى البوسنة عام ١٩٩٥. عندما وجّه الناتو ضربات جوية إلى صرب البوسنة ، فأجبرتهم على الجلوس إلى مائدة المفاوضات وتوقيع اتفاقيات ديتون للسلام. لكن ضرب صربيا يختلف تمام الاختلاف عن ضرب صرب البوسنة:

فأولا: جمهورية يوجوسلافيا دولة مستقلة عضو بالأمم المتحدة. وهى تسئ معاملة ألبان كوسوفو وتتبع تجاههم سياسة قمعية لا ترضى عنها الولايات المتحدة - ولا العالم - لكن كوسوفو تعتبر حتى هذه اللحظة جزءاً من جمهورية صربيا التى هى جزء من الاتحاد اليوجوسلافى الفيدرالى. وقد ألغت بلجراد "الحكم الذاتى" الذى كانت تتمتع به كوسوفو، وحكمتها حكماً مباشراً ، وقد منحت

هذا "الحكم الذاتى" بناء على دستور عام ١٩٧٤ الذى صدر فى حياة الزعيم جوزيف نيتو.

وثانيا: ويغامر "الناتو" بضربه لصربيا مغامرة غير محسوبة : فالجيش اليوجوسلافى الوطنى جيش قوى ، مسلّح تسليحاً حديثاً. ووضع الغرب فى حسابه أنه إذا لم تستسلم القيادة الصربية بعد توجيه الضربات الجوية ، فستدخل قوات برية لحل المشكلة وحسم المعركة . وقد ثبت خطأً قيادة "الناتو" العسكرية بعد شهر كامل من الضربات الجوية اليومية.

فما هى أهداف "الناتو" من توجيه الضربات الجوية إلى يوجوسلافيا؟

الهدف الأساسى غير المعلن هو فرض الهيمنة الأمريكية على الحلفاء الغربيين وعلى بقية العالم، وأن يقوم "الناتو" بمهمة الأمم المتحدة. أما الهدف المعلن ، فهو إيقاف قمع الصرب لألبان كوسوفو وعددهم ١,٦ مليون نسمة والذين يشكلّون - أو بالأحرى كانوا يشكلّون قبل الأحداث الأخيرة تسعة أعشار السكان.

وحسب إعلانات "الناتو"، ينبغى أن يتحقق هذا الهدف دون تقسيم البلاد. ويأمل "الناتو" أن يقوم الجيش اليوجوسلافى نتيجة لضغوط الناتو العسكرية بإزاحة الرئيس اليوجوسلافى سلوبودان ميلوسيفيتش ، ليحل محله رئيس آخر يتفاهم مع الغرب، ويحل مشكلة كوسوفو. ولو

أبدى الرئيس ميلوسيفيتش "تفهماً" وخضع لمطالب "الناتو" كاملة فقد يبقى في منصبه . لكن واضعي هذه الخطة لا يعرفون نفسية أي شعب في الأزمات، ولم يقرأوا تاريخ الصرب ولا حروب البلقان وتركيبة شعوبه. فالمؤكد أن ضربات "الناتو" تثير حماس الصرب، فتجعلهم يلتفون حول رئيسهم ناسين كل الخلافات. وقد هب الصرب بالفعل للدفاع عن وطنهم المحاصر، أما الضحية فهم ألبان كوسوفو الذين بدأت المسألة برمتها لحل قضيتهم ، وتحولت قضيتهم لتصبح قضية لاجئين ، تماماً ، كما حدث لقضية فلسطين .

• • •

بدأت الطلعات الجوية لطائرات "الناتو" ضد الأهداف الصربية ليلة ٢٤ مارس ١٩٩٩ ، قبيل احتفاله بالذكرى الخمسين لتأسيسه، فأطلقت الصواريخ كروز جواً وبحراً على أهداف قرب العاصمة اليوجوسلافية بلجراد ، وعاصمة كوسوفو بريشتينا ، وكذلك على جمهورية الجبل الأسود الشريك الأصغر المتبقى فى الاتحاد الفيدرالى اليوجوسلافى .

وتناقش دوائر غربية عديدة ، منذ بداية هجمات "الناتو" ، الهدف المحدّد "للناتو" والوضع القانونى الدولى لما يقوم به من عمليات . وقال الرئيس الأمريكى بيل كلينتون فى بداية عمليات "الناتو" إن الضربات تبين معارضة "الناتو" للعدوان ، وأن "الناتو يقوم بعملياته لمنع أى هجوم

مقبل على المدنيين فى كوسوفو" و"إذا كان الأمر ضرورياً، ستوجه ضربات ضد قدرات صربيا على شن الحرب". ومعنى هذه الأقوال أن الهجمات الأولى كان هدفها "التحذير" أما إذا تجاهلت القيادة الصربية هذا "التحذير" ، فيبدأ "الناتو" فى "تحطيم الأهداف الصربية العسكرية".

وقال سكرتير "الناتو" "جافير سولانا" أن "الناتو" يعاقب صربيا لأنها رفضت قبول أى تسوية فى كوسوفو" . وأن "الناتو لا يشن حرباً على يوجوسلافيا"، "وأن ليس هناك أية خلافات مع شعبها".

ومن الناحية العملية ، تختفي الحدود بين "التحذير" والحرب لو تطوّر الصدام إلى اختبار أوسع للارادات بين الغرب وصربيا ، وهو ما حدث بالفعل. فالناتو يمتلك قوة رهيبة هى أكبر وأحدث قوة عسكرية فى العالم المعاصر.

لكن الرئيس اليوجوسلافى سلوبودان ميلوسيفيتش يمتلك إرادة شعبه الذى يتقبل الخسائر مهما كانت فداحتها، ويقاوم "المعتدى" ويلتف حول قيادته وقت الشدة متناسياً قمعها. وهذا هو ما أعطى الحكومة اليوجوسلافية "القوة" فى أن توجه إنذاراتها فى الأسبوع الأول لضربات "الناتو" ، إلى رومانيا والبانيا وبلغاريا والمجر ومقدونيا، "ألا تشارك بشكل مباشر أو غير مباشر فى الأعمال العدوانية التى يقوم بها "الناتو" ضدها. والمجر هى الدولة الوحيدة بين تلك الدول التى تغطيها ضمانات "الناتو" الوقائية، بعد أن انضمت رسمياً إليه قبل الأحداث بشهر واحد. أما

مقدونيا فتستضيف ١٢ ألف جندى من قوات "الناتو" البرية المتوقع دخولها كوسوفو إذا لم تحقق الضربات الجوية نتيجتها ، ومقدونيا والمجر فى مرمى المدافع اليوجوسلافية.

كانت القيادة اليوجوسلافية قد قامت قبل توجيه ضرباته، بتطهير قوات الأمن من المعارضين لسياسة الرئيس سلوبودان ميلوسيفيتش ومن الأجنحة الموالية للغرب. وضمن هذا استبدل مدير الاستخبارات العسكرية بآخر أكثر ولاء. وقبلها بشهر استبدل رئيس الأركان، ومدير المخابرات السرية. وهكذا لم يعد لدى الغرب أى أمل فى أن يحل أى شخص "معتدل" محل الرئيس اليوجوسلافى "المتشدّد" بأى شكل من أشكال الانقلابات .

اعتمد الرئيس اليوجوسلافى فى حربه ضد الغرب على اعتبار الصرب جميعا لكوسوفو رمزاً لتاريخهم وإيمانهم الأرثوذوكسى، رغم أن سكانها من الألبان المسلمين .

واعتمد الرئيس اليوجوسلافى كذلك على مساندة "الجيش الوطنى اليوجوسلافى" الذى تأسس أيام "الحرب الباردة" للدفاع عن الوطن اليوجوسلافى وعدم الانحياز، والجيش اليوجوسلافى مسلح بأسلحة "سوفيتية" ويمتلك ترسانة من كافة الأسلحة الحديثة، وينبغى أن نذكر كذلك أن يمتلك ترسانات من الأسلحة اليوجوسلافية، إذ تمتلك يوجوسلافيا مصانع للطائرات والدبابات. وهناك شبكة متكاملة بشكل جيد من الدفاعات

الجوية وخاصة صواريخ الأرض - جو ومنصات إطلاقها ، وهى تضم صواريخ سام - ٦ "السوفيتية" الصنع.

وقد أسقطت طائرة أمريكية عام ١٩٩٥ فوق البوسنة، حيث أظهر صرب البوسنة مهارة فى استخدام أسلحة الدفاع الجوى - طبقاً لم ذكره كتاب جينز السنوى لعام ١٩٩٨م.

ولم يحقق "الناتو" أهدافه، وأفرغت كوسوفو من سكانها الألبان الذين تحولّوا إلّى شعب من اللاجئين ، هذا رغم أن عدد طائرات "الناتو" التى تضرب صربيا يومياً وصل عددها إلى ١١٠٠ طائرة. ويرتكب الطيارين الأمريكيين أخطاء فاحشة بضرب المدنيين الألبان، بل إن القاذفات الأمريكية ضربت قافلة لاجئين ألبان، والنتيجة أن يزداد عدد الأوروبيين المعارضين للضربات الجوية طبقاً لاستطلاعات الرأى العام، وهؤلاء كانوا يؤيدون ضرب بلجراد على أساس دكتاتورية الرئيس ميلوسيفيتش وقمعه لألبان كوسوفو. ويستعد النظام اليوجوسلافى لخوض حرب طويلة الأمد، فيستدعي الاحتياطى، ويصدر بطاقات تموين بالمواد الغذائية الضرورية. وحتى يضيّق "الناتو" الخناق على النظام ، تضرب طائراته مصانع تكرير البترول، لكن صرب البوسنة ينشطون فى تهريب البترول إلى صربيا.

• • •

وطالت ضربات "الناتو" الجوية ، ولم تستلم القيادة الصربية ، فبدأ "الناتو" يبحث عن مخرج لحفظ ماء الوجه بعد أن أخطأت حساباته ، فقدم فى الأسبوع الرابع للهجمات الجوية "خطة سلام" تعتمد على إنزال قوات برية فى كوسوفو تحت إشراف "الأمم المتحدة" وليس "الناتو" ، لتحل محل القوات الصربية . وقدّم هذه المقترحات الرئيس الروسى بوريس يلتسين. وتقدمت ألمانيا رئيسة الاتحاد الأوروبى" فى تلك الفترة ، بخطة سلام، يوم ١٤ إبريل ، لكن الولايات المتحدة قابلتها ببرود.

ولما طالت ضربات "الناتو" أصابت فجوة العلاقات الروسية الغربية ، واتسع مدى الخلاف: من الحرب فى البوسنة ، إلى توجيه ضربات جوية إلى العراق دون إذن من الأمم المتحدة، ومن ضم بولندا والمجر وجمهورية التشيك الدول الشيوعية الثلاث السابقة ، إلى "الناتو"، إلى الصدام مع صربيا حول حل مشكلة كوسوفو . خاصة وأن "الاتحاد الفيدرالى الروسى" يخشى تفكك دويلات القوقاز التابعة له . وروسيا هى الحليف الرئيسى ليوجوسلافيا، وتعكس سياستها كراهيتها القديمة "للناتو" ، هذا رغم أنها.ينبغى عليها أن تسدّد هذا العام أقساطاً قدرها ١٧,٥ بليون دولار لديونها الهائلة التى حصلت عليها ، ومازال اقتصادها فى حالة انهيار.

ويبدو الخلاف الروسى - الغربى هذه المرة عميقاً، وصرّح الرئيس الروسى بوريس يلتسين أن ضربات "الناتو" قد تسبّب حرباً عالمية.

وأرسلت موسكو سفن تجسس روسية إلى البحر الأدرياتيكى .

وصرح الرئيس الروسى بأن قد يعاد توجيه الصواريخ الروسية إلى دول "الناتو". وكانت التهديدات قوية لدرجة أن بعض الصحف الغربية ذكرت "أن الحرب الباردة قد عادت" . ويعارض المواطنون الروس توجيه ضربات جوية إلى يوجوسلافيا ، لأنهم يعتبرون حتى الآن أن "الناتو" عدو روسيا . وبالمثل يشكل الإنزال البرى لقوات إلى كوسوفو. ضربة للكبرياء الوطنية الروسية . وهذا أكبر خلاف بين "الناتو" وبمعنى أصح الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية ، وبين روسيا ، منذ انهيار الاتحاد الفيدرالى السوفيتى ويتزامن هذا مع حدثين :

الأول: الاحتفال بالذكرى الخمسين على تأسيس "الناتو" باجتماع قمة بواشنطن ،

والثانى: الاتفاق الجديد بين روسيا، و"صندوق النقد الدولى" . الذى يذكر روسيا بأنها "أسيرة" الأجانب مرة أخرى اقتصادياً وسياسياً. فى الوقت الذى يذكرها الاحتفال الخمسينى للناتو بالوضع الذى آلت إليه بعد أن كانت القوة العظمى المواجهة للغرب.

وتختلف مواقف دول "الاتحاد الأوروبى" من الحملة العسكرية ضد صربيا. فاليونان وهى العضو البلقانى الوحيد "بالناتو" لم تشارك طائراتها فى الطلعات الجوية، وإن كانت تقدم مطاراتها لطائرات "الناتو" التى تقوم بطلعات استكشافية على يوجوسلافيا. كما يتم تموين قوات

"الناتو" بمقدونيا عبر ميناء سالونيكا شمال شرقى اليونان. ويصل عدد هذه القوات إلى ١٢ ألف جندى والمفروض أنها قوات "حفظ السلام" فى كوسوفو بعد حل المشكلة : وساعد الجيش اليونانى اللاجئين من أهل كوسوفو فى ألبانيا وقدم لهم المساعدات المطلوبة . وتؤيد اليونان الصرب منذ بداية حربهم ضد الكروات والسلوفينيين والمسلمين فى البوسنة . ولا ننسى أن اليونانيين ارثوذوكس مثل الصرب. هذا إلى جانب وجود حزب شيوعى يونانى معادٍ لأمريكا وبريطانيا. ويقوم أعضاؤه بمظاهرات أمام الشعارات الغربية بأثينا.

وتبدى إيطاليا احتجاجاتها ضد ما يقوم به "الناتو" رغم أن أراضيها تأوى قواعده العسكرية. وتنطلق صواريخه من ١٤ منصة لإطلاق الصواريخ ضد يوجوسلافيا . وعارض "الشيوعيون المتحدون" المشاركون فى السلطة بوزيرين. غارات "الناتو" الجوية وإن كانوا يؤيدون حكومة "تحالف اليسار" برئاسة ماسيمو داليما. وقد أيدّ زعيم الحزب أرماندو كوسوتا من قبل الغزو السوفييتى للمجر عام ١٩٥٦ ، ولبرامج عام ١٩٦٨. وقد أسرع بالسفر إلى بلجراد ليقابل الرئيس اليوجوسلافى ويفسّر له موقف حزبه . ولم يسمح رئيس الوزراء ماسيمو داليما لطائرات الجيش الإيطالى بالمشاركة فى الطلعات الجوية، رغم أن "الناتو" يستخدم قواعد إيطاليا العسكرية المنتشرة فى إيطاليا المجاورة ليوجوسلافيا. وأدى هذا الموقف للحكومة الإيطالية ، إلى زيادة شعبيتها.

والكتاب ماثل للطبع ، جاءت الأخبار تقـول أن البنتـاجون يضغـط على شركاء الولايات المتحدة الأمريكيـة فـى "النـاتو" للموافقـة علـى حـرب برية . وتلك هى المرحلة الثالثة.

مجدى نصيف

٢٦ إبريل ١٩٩٩

[١] مقدمة:

كتبت مقالي التالي تحت عنوان "كوسوفو: قنبلة موقوتة" في شهر يونيو عام ١٩٩٦. وهذا أفضل ما استهل به كتابي عن كوسوفو. ذكرت في هذا المقال أن كوسوفو تختلف عن البوسنة، وأنها تختلف أيضاً عن جمهورية صربيا في كل شيء، وأن الوضع بها قابل للانفجار إذا لم تحل المشكلة.

لكن مشكلة "كوسوفو" لم تحل، وانفجر الوضع.

• • •

ـ تختلف مشكلة كوسوفو عن مشاكل البوسنة ويوجوسلافيا، رغم أن الوفد الأمريكي راعي اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة. صمم على إدراجها ضمن جدول المناقشات. لكن بعد هذا كان تحصيل حاصل، فقد ظلت مشكلة "كوسوفو" كما هي، ولم يتقدم حلها قيد أنملة.

وهكذا تظل "كوسوفو: قنبلة موقوتة قد تنفجر في أية لحظة: ذلك أن ٩٢٪ من سكانها، من أصل إثنى ألباني. أما البقية فمن الصرب! بل أن حتى نسبة من هؤلاء من أصل الجبل الأسود. ويعلم الصرب تمام العلم أنهم لا يمكن أن يستمروا في حكم ٩٢٪ من سكان "كوسوفو" الألبان المسلمين، إلا بالحديد والنار. دون أن يثوروا من أجل حريتهم وكرامتهم. وأقل ما يمكن أن يقدمه الرئيس الصرب [اليوجوسلافي الآن] سلوبودان ميلوسيفيتش لكوسوفو، هو "الحكم الذاتي" الذي ينص عليه الدستور اليوجوسلافي القديم

- لعام ١٩٧٤. لكن بلجراد انتزعت حق "الحكم الذاتي" من ألبان كوسوفو عام ١٩٨٩، وقامت بحكمها حكماً مباشراً. والملفت للنظر أن عام ١٩٨٩ هو عام الذكرى المائة "لمعركة كوسوفو" التي هزم فيها الصرب على يد الأتراك، هزيمة منكرة، لكنهم يعتبرون أن كوسوفو جزء من تاريخ الصرب وصربيا.

وألبان كوسوفو لا يرضون عن استقلالها بديلاً، ورفعوا هذا الشعار منذ عام ١٩٨٠، عندما قاموا بسلسلة واسعة من المظاهرات والإضرابات، رفعت شعار الاستقلال التام عن جمهورية صربيا. ورد الصرب على ذلك باعتقال المئات من الألبان، وألقت بهم في غياهب السجون. كان الصرب يريدون من الألبان قبول الانتخابات العامة في إطار صربيا.

لم يسكت الألبان، وقاطعوا الانتخابات الصربية، وأسسوا دولتهم الموازية بكل هيئاتها وأجهزتها ومؤسساتها. وأصبح هناك دولتان ونظامان: فهناك "إقليم كوسوفو" التابع لصربيا، وهناك "جمهورية كوسوفو" بهيئاتها التعليمية، والصحية، والعلمية، والاقتصادية. وساعد على هذا، أن بلجراد عندما جمدت "الاستقلال الذاتي" لكوسوفو، طردت الألبان من وظائفهم التي كانوا يشغلونها، فقاطع الألبان كل الهيئات الرسمية: فأطفال الألبان يذهبون إلى مدارسهم التي تدرس باللغة الألبانية، ويدرسهم مدرسون ألبان. وأسس الأطباء الألبان العيادات والمستشفيات الألبانية، ابتداء من عام ١٩٩٠، وقاطعوا المستشفيات الصربية الرسمية. وقد أسسوا

هذه الهيئات الألبانية بمساعدة المعونات الخارجية، وعلى رأسها ما يقدمه صندوق "الأم تيريزا". والنظام التعليمي - الألباني له مناهجه وكتبه باللغة الألبانية، وضعتها هيئات متخصصة، ويعترف العالم بشهادات ودبلومات هذه المدارس والمعاهد الألبانية.

ونظمت أحزاب "كوسوفو" السياسة الألبانية، استفتاء عاماً، أعلنوا بعده أن "كوسوفو دولة مستقلة ذات سيادة" وانتخبوا إبراهيم روجوفا، زعيم "رابطة كوسوفو الديمقراطية" LDK رئيساً لها.

• • •

وقاد الرئيس الصربي - آنذاك - سلوبودان ميلوسيفتش يوجوسلافيا في اتجاه الحرب، فخاضت صربيا حرباً ضد جمهوريات الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي على أمل تحقيق حلم "صربيا الكبرى"، لكن الحروب كانت دامية انتهت ولم تحقق صربيا أحلامها، وخسرت خسارة فادحة.

ويقول نائب رئيس حزب "رابطة كوسوفو الديمقراطية" فهمي عجَاني:

-"لم يرض ألبان كوسوفو عن اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة. فرغم إدراج "قضية كوسوفو" إلا أنها ظلت دون حل، كما قدمت هذه الاتفاقيات نموذجاً لما يمكن أن يقدمه

"المجتمع الدولي" من حلول، لـذا علينـا أن نسـتمر نحـن ألبـان كوسوفو في نضالنا بكل السبل، وبكل ما أوتينا من قوة".

• • •

لكن قبل ذلـك، عندمـا اندلعـت الحـروب في يوجوسـلافيا وزعمـاء "رابطـة كوسـوفو الديمقراطيـة" يؤكـدون أن "الجماعـة الدوليـة" سـتضمن استقلال كوسوفو بالضغط علـى القيـادة الصربيـة. لكـن أحـداً لم يطلـب منـح "إقليم كوسوفو" استقلاله، أو حتى إعادة "الحكم الذاتي" الـذي كـان يتمتـع بـه. فأصيب الألبان بإحبـاط شديد. وأخطـر مـا أدى إليـه هـذا الوضـع، هـو سحب البساط من تحت أقدام "رابطة كوسـوفو الديمقراطيـة". وبـدأت تفقـد مصداقيتها وجماهيريتها، وبدأ أنصارها ينصرفون عنها بسبب منهجهـا في "الكفاح السلبي"، انصرف الألبان إلى منظمـات أخـرى أكـثر ثوريـة، تؤمـن برفض هذا "الواقع" المرير، ونشأت منظمات تدعوا إلى نضال أكـثر جذريـة، وتستخدم أساليب اكثر فاعلية ونضالية، مثل المظاهرات و"العصيان المدني".

لكن لم ترفع أي من هذه المنظمات شعار الكفاح المسَلح، حتـى ذلـك الحـين. وإن كـان هنـاك إجمـاع علـى "اسـتقلال كوسـوفو" ليحطـم الألبـان بأنفسهم.

أما موقف (الصرب) فهو التمسك بكل شبر من أراضي "كوسـوفو". وظل ٣٠ مقعداً تخص ألبان كوسوفو شاغرة في البرلمان الصربـي [٢٥٠ مقعـداً] ولم تجد حتى عملاء يشغلونها.

لكن ... ظهر فجأة "جيش تحرير كوسوفو" خارج كل هذه التركيبة السياسية، وأطلق عليهم الصرب اسم "الإرهابيين". ولا أحد يعلم، ولا حتى أجهزة المخابرات الغربية حتى الآن، من هم مقاتلو هذا الجيش، على وجه الدقة، وما هو عددهم.

يقوم مقاتلو الجيش من ألبان كوسوفو، بأعمال ضد الصرب الذين ترسلهم السلطات الصربية ليسكنوا في كوسوفو. وهؤلاء الصرب من لاجيء الحرب من كرواتيا والبوسنة، ويقاوم اللاجئون الصرب ترحيلهم للإقامة بكوسوفو، خوفاً من هذه العمليات.

وظهور هذا الجيش هو إنذار للصرب، الذين يحكمون كوسوفو بالحديد والنار، ولا يريدون منحها حتى "الحكم الذاتي". فبدء الكفاح المسَلح معناه عدم جدوى "الحل السلمي"، الذي لم يعد ممكناً.

واتفقت الأحزاب السياسية الألبانية في كوسوفو على نقاط لحل المشكلة قدمتها للسلطات الصربية :

?إيقاف القمع الصربي.

?الإفراج عن كل المسجونين السياسيين.

?إعادة "الحكم الذاتي" الذي ألغته بلجراد عام ١٩٨٩.

لكن صربيا تريد أن يستمر الوضع في كوسوفو على ما هو عليه، لأنها تعلم أن استقلالها ليس إلا بداية.

* * *

وتوالت الأحداث في أوائل ١٩٩٦، بعد أن قتل رجل بوليس (صربي) طالباً ألبانياً. بعدها قتل الألبان ست رجال صرب بينهم ثلاثة من رجال البوليس، وجرح آخرون عندما أطلق مسلحون النار على أهداف صربية. ورد الصرب على الفور يقتل طفل ألباني. فأطلقت قنبلة يدوية من سيارة مسرعة على قسم بوليس. قام المسئولون الصرب، بإعادة توزيع رجال البوليس بعد توتر الأوضاع. لكن لم تحدث أية تحركات سياسية لاحتواء هذا العنف المتبادل.

وجه "مراقبون" غربيون من "الاتحاد الأوروبي" ومن "مؤتمر الأمن والتعاون الأوربي"، نداء إلى الطرفين أن يبدأ التفاوض لحل المشكلة. ووصل في منتصف مايو ١٩٩٦ إلى بلجراد وبريستينا[عاصمة كوسوفو] حيث اجتمع بالقيادات من الطرفين. وطلب الوفد من الجانبين أن يبدأ التفاوض حول مستقبل "إقليم كوسوفو". لكن موقف بلجراد لم يكن مشجعا. وقد سَرب المسئولون الصرب لصحافة بلجراد، التي تملكها (الدولة) أخباراً حول "نشاطات إرهابية" ينظمها دبلوماسيون من سفارة ألبانيا ببلجراد، في إقليم كوسوفو، وتبذل هذه النشاطات الإرهابية" لضمان وضع مميَز وقوي لألبانيا في أية مفاوضات مقيلة حول مستقيل كوسوفو.

لكن هذه "النشاطات" لن تؤدي بأية حال إلى حل مشكلة كوسوفو، كما تدعي تلك الصحف الصربية، وإنما لن تؤدي إلا إلى زيادة وجود البوليس الصربي في كوسوفو، وهو ما حدث بالفعل. والمرجَح أن "جيش تحرير كوسوفو" هو الذي قام بهذهِ العمليات، وكما ذكرنا من قبل، لا أحد يعلم شيئاً عن هذا "الجيش" سوى أنه مكونَ من الشباب الألباني الذي ضاق ذرعاً بالسياسات الصربية، وبسياسات أحزاب كوسوفو الألبانية التي لم تحل المشكلة الألبانية.

كتب أعضاء هذا الجيش السري، خطاباً للإذاعة البريطانية، جاء فيه:

{يقوم "جيش تحرير كوسوفو" بعملياته، ضد الصرب المعتدين، وهو يشن حربه هذه من أجل تحرير كوسوفو. وسيستمر نضاله هذا حتى يتحقق الانتصار}.

• • •

بعد اتفاقية ديتون للسلام في البوسنة، بدأت الدول الغربية تعيد علاقاتها ببلجراد، وتنهي المقاطعة التي فرضتها الأمم المتحدة عليها بسبب حروب يوجوسلافيا، لذا أصبح من الصعب دولياً تحقيق استقلال كوسوفو. لقد "نسى" الغرب القضية تماماً، ووضعوها جانباً. وأصاب ذلك ألبان كوسوفو بخيبة الأمل، ووضع "رابطة كوسوفو الديموقراطية" وزعيمها إبراهيم روجوفا، في مأزق حقيقي. فالرابطة كانت تطلب من ألبان كوسوفو

عدم اللجوء إلى العنف، لأن "الجماعة الدولية" قضية الاستقلال في إطار اتفاقيات دولية. لكن اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة خيبّت آمالهم. وأصبحت الحياة أصعب منذ أعلنت رابطة كوسوفو الاستقلال من جانب واحد عام ١٩٩١.

بدأت "رابطة كوسوفو" تفقد مصداقيتها، وتفقد معها جماهيرها شيئاً فشيئاً. و ازدادت عمليات "جيش تحرير كوسوفو". ولم تجد "الرابطة" بداً من إنكار علاقتها بكل عملية، بعد أن بدأت هذه الهجمات في شهر فبراير ١٩٩٦. آنذاك أعلن "جيش تحرير كوسوفو" عن مسئوليته لسلسة من الهجمات بالقنابل اليدوية على مساكن مهاجرين حرب، جاءت بهم الحكومة الصربية كلاجئين، ولتغيير الوجه الديموجرافي لكوسوفو في نفس الوقت.

وكل ما هو عن "جيش تحرير كوسوفو" من معلومات، انهم من شباب ألبان كوسوفو الذين لم يقبلوا "محلك سر" للوضع السياسي، وأن للجيش جذوراً مسبقة بين دياسيورا الألبان المهاجرين في أوروبا الغربية، وخاصة في ألمانيا وسويسرا وبلجيكا، وهؤلاء هم مصدر تمويل "الجيش"، وغير ذلك مازال تخميناً.

• • •

وأصاب صرب كوسوفو. قلق شديد حول مستقبلهم. فهم يشعرون أن الرئيس الصربي [اليوجوسلافي الآن] يتخلى عنهم، كما تخلى من قبل عن صرب كرايينا، وكما تخلى عن صرب البوسنة، تخلى عن هؤلاء وهؤلاء حتى يبقى هو في كرسيه.

وليس هناك إحصائيات جديدة. عن عدد الصرب في كوسوفو. ويقدر عددهم على أية حال بحوالي عشرة آلاف صربي. قليل منهم من يعتبر كوسوفو وطنه. فبعد سقوط كرايينا - التي كانت في أيدي الصرب - في يد الكروات، بعد عملية عسكرية سريعة تراجع فيها الصرب لأول مرة في هذه الحروب الفظيعة، عام ١٩٩٥، هرع صرب كرايينا إلى بلجراد. فأسرعت سلطاتها إلى إسكانهم في كوسوفو. واختارت لهم بذكاء شديد إن سكانهم غربي كوسوفو حتى يشكلون حاجزا بشريا بين كوسوفو وجمهورية ألبانيا.

• • •

وفي محاولة من بلجراد لتخفيف التوتر في كوسوفو. منحت - ابتداء من شهر أبريل ١٩٩٦ - سكانها حق زيارة أهلهم في جمهورية ألبانيا، والعكس، دون تأشيرة دخول.

ونتيجة لهذا القرار يدخل يومياً إلى كوسوفو من مدينة كيوكيس، ألف ألباني، لبيع وشراء البضائع. لكن هذه كلها سياسات محسوبة، وعلينا ألا نخطئ هدفها. فقد قام الصرب بتسكين مجموعة من شبان صرب

بيهاتش، بكوسوفو. وكانت هذه المجموعة تقاتل في صفوف الميليارديرِ المسلم فكري عبديتش الذي كان يحكم جيب بيهاتش لحسابه بمساعدة الصرب، لكن مسلمي البوسنَة، صفوا ذلك الجيب عسكرياً. وهذه المجموعة من مجرمي الحرب مطلوب القبض عليهم لمحاكمتهم في لاهاى بهولندا. وتمارس هذه المجموعة أعمالاً إجرامية في عاصمة كوسوفو، بريستينا. وتحرش أفراد هذه المجموعة بأنصار مجرم حرب آخر زبليكو رازداتوفيتش المعروف باسم "أركان" وقائد "لواء النمور" الذي ارتكب فظائع رهيبة ضد مسلمي البوسنة.

[٢] الأرض والتاريخ والناس

الأرض والتاريخ والناس

ظلت كوسوفو تحتل أخبار الصفحات الأولى من صحف العالم طوال عام ١٩٩٨، رغم أنها بلد صغير لا يزيد تعداد سكانه عن مليوني نسمة. فهي "إقليم" في الجنوب الغربي من جمهوريا صربيا التي هي جزء من "الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي"، الذي لا يشاركها فيه حالياً سوى جمهورية الجبل الأسود" - مونتجرو - ويحد كوسوفو من الجنوب جمهورية مقدونيا، التي كانت جزءاً من الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي ثم انفصلت عنه وأعلنت استقلالها. وتحدها من الغرب جمهورية ألبانيا. أما من الشمال الغربي، فهناك جمهورية الجبل الأسود.

ولا تزيد مساحة كوسوفو عن ١١ ألف كيلومتر مربع. وهي بلد جبلي، ترتفع عدة قمم جبلية عالية في سلسلة سار بلانينا Sar Planina، وتصل إلى ارتفاع ٢٥٠٠ متراً. أما سفوح الجبال والتلال فتغطيها الغابات والحشائش التي تستخدم كمراعٍ. ويصل أحد فروع نهر درينا الشهير إلى كوسوفو، وهناك نهر إبيار ونهر سيتتيشا.

وكوسوفو أفقر منطقة في أوروبا قاطبة، رغم انه توجد بها رواسب غنية من الرصاص والزنك، وبالمثل رواسب هامة من الكروم والمنجنيز والليجنايت. ولم تدخل الكهرباء كل البيوت، التي ليس بها كلها مجاري أيضاً. وترتفع نسبة البطالة بها لتصل إلى نصف القوة العاملة. والزراعة هي

أهم مصدر للدخل والإنتاج في كوسوفو: وتتضمن محاصيلها الزراعية الأساسية: الحبوب [من قمح وذرة وشعير] والبطاطس، وبعض الفواكه مثل العنب، هذا إلى جانب الطباق. وهناك بطبيعة الحال بعض الصناعات الزراعية التي تعتمد على هذه المحاصيل وأساساً صناعة النبيذ. ثم هناك قطعان الأبقار والخراف التي تعتمد تربيتها على المراعي الطبيعية. والأسمنت من الصناعات الهامة وكذا صناعة حامض الكبريتيك، وتعتمد على المناجم والتعدين. ولا ننسى كذلك صناعة الأخشاب، لوجود الغابات الكثيفة على سفوح الجبال.

ومشكلة كوسوفو تنبع من أن ٩٠٪ من سكانها من الألبان، أما العشرة بالمائة الباقية فمن الصرب وأهل الجبل الأسود.

ومنذ بداية الألف سنة الثانية بعد الميلاد احتلت قبيلة دارداني الايليرية منطقة كبيرة تضم كوسوفو الحالية، ثم احتلها الرومان. وفي نهاية القرن الثاني عشر، ضمها ملك صربيا ستيفان نيمانيا. في ذلك الوقت كانت الإمبراطورية العثمانية تتوسع، واحتل كوسوفو ودخل معركة حاسمة مع الصرب عرفت باسم "معركة كوسوفو"، التي هزم فيها الصرب، واحتل الجيش التركي كل صربيا عام ١٤٥٩، وتراجع الصرب شمالاً.

• • •

واحتلت "كوسوفو" أهمية خاصة، لأنها تقع في قلب البلقان كلها- في تقاطع طرق هامة تؤدي إلى البحر، مكان يطلق عليه قديماً اسم "طريق

زيّتا": وادي نهر دريم، ناحية سكادار، أقصر الطرق عبر بريزرين، الذي يمر عبره كل ما يتحرك إلى داخل البلقان وشاطئ الأدرياتيك.

ونتيجة للأحداث التاريخية أصبحت "كوسوفو" جزءاً من التكوين الصربي. فقد شهدت المعارك الدامية للمملكة الصربية مع الجيش التركي الذي كان يوسع الإمبراطورية العثمانية. لقد شهدت معركة كوسوفو في المعركة التي قادها من الجانب الصربي الأمير لازار، والجيش التركي الذي كان يقوده السلطان مراد الثاني بنفسه.وقتل الأمير لازار و السلطان مراد في تلك المعركة، في ١٥ يونيو عام ١٣٨٩م. وكانت هزيمة الصرب منكرة، أثرت على الممالك البلقانية كلها.

وفي خريف عام ١٤٤٨، شهدت كوسوفو أيضاً الجيش التركي يسحق القائد العسكري المجري جون مونيا دي الذي كان يقود الجيوش المتحالفة ضد الإمبراطورية العثمانية، وبعدها بسنوات في عام ١٤٥٥ استولى الأتراك على كوسوفو لعدة سنوات تالية، ولم تضم إلى المملكة الصربية إلا مؤخراً في نهاية القرن الثاني عشر، مكونّة من الإمبراطورية النمساوية-المجرية، وفرنسا، والمانيا، إيطاليا، وروسيا. ثم ضمت كوسوفو عام ١٩١٨ إلى المملكة الجديدة التي ضمت الصرب، والكروات، والسلوفينين والتي أعيدت تسميتها باسم يوجوسلافيا.

ولما جاءت الحرب العالمية الثانية، تغيرت خريطة المنطقة مرة أخرى، بين عامي ١٩٣٩ و١٩٤٥، حيث ضمت كوسوفو إلى ألبانيا. ثم

منحت عام ١٩٤٦ وضعية "الحكم الذاتي" في إطار جمهورية صربيا، لكنها حصلت على مزيد من الحقوق في إطار "الحكم الذاتي" بسبب الهبات المتعددة التي قام بها سكانهاَ الألبان. لكن الصرب ردوا بعنف على الهبة- الألبانية التي حدثت عام ١٩٨١. وأدت موجة الاحتجاجات التي قام بها ألبان كوسوفو إلى مسيرات احتجاج من الصرب، وكانت تلك أحد، الأسباب الرئيسية التي استغلها سلوبودات ميلو سيفيتش للوصول إلى السلطة عام ١٩٨٧. وفي شهر مارس عام ١٩٨٩، ألغى ميلو سيفيتش بجرة قلم وضعية "الحكم الذاتي" لكوسوفو، ووضعها تحت حكم بلجراد المباشر، الذي كان يعني احتلالها عسكرياً. فمنعت كل وسائل الإعلام الكوسوفية- الألبانية، ومنع التعليم باللغة الألبانية، رغم أن التعليم الابتدائي الألباني، أعيد في أواخر عام ١٩٩٤.

ألغت السلطات الصربية البرلمان الكوسوفي عام ١٩٩٠. فاضطر القادة الألبان الكوسوفيين إلى اللجوء إلى جمهورية مقدونيا المجاورة، حيث أعلنوا استقلال كوسوفو، وأسسوا جمهورية موازية انتخبوا لها رئيساً هو إبراهيم روجوفا. في شهر مايو عام ١٩٩٢،لكن الحكومة الصربية لم تعترف بها بطبيعة الحال، وأعلنوا أنها غير قانونية! ومنعوها من عقد أى اجتماع، وقبضوا على عشرين من وزرائها في مقدونيا، في شهر ديسمبر عام ١٩٩٤، وطردوا من مقدونيا إلى كوسوفو.

واستمر الألبان يطالبون بالاستقلال عن صربيا، البعض يطالب بالاستقلال التام، و البعض الأخر بالانضمام إلى ألبانيا، وارتفع التوتر بين الألبان و الصرب.

وفي أغسطس عام ١٩٩٥، قامت السلطات الصربية بتسكين اللاجئين من صرب كرايينا التي استولت عليها كرواتيا في عملية عسكرية سريعة تراجع فيها الصرب ولم ينطقوا بحرف واحد. كانت هزيمتهم منكرة هم الذين استأسدوا في البوسنة و كرواتيا. كانت صربيا تريد تغيير الوجه الديموجرافي لكوسوفو. لكن عمليات "جيش تحرير كوسوفو" بدأت.

ويقول الصرب بكل "بجاحة"، أن كوسوفو هي "قدس صربيا" وأنهم غير مستعدين للتنازل عنها بأى شكل، حتى ولو كان كل سكانها من الألبان. السبب الرئيسي أنها كانت جزءاً من مملكة صربيا، في العصور الوسطى، وبها الآن ١٤٠ ديراً وكنيسة أرثوذكسية- صربية عدد كبير منها بنى قبل عام ١٤٥٩م، شيد الملك ميلوتين وحده منها خلال الأربعين عاماً لحكمه فيما بين عامي ١٢٨١ و١٣٢١ أربعين كنيسة. هذا إلى جانب بقايا ثمانين كنيسة موجودة في أنحاء كوسوفو، ومعظمها لكنائس قديمة أقيمت قبل عام ١٤٥٩م، وقد أقام بطريرك الصرب الأرثوذكس بكاتدرائية كوسوفو، وقد رسم بها بطريرك بيتش عام ١٣٤٦، وظلت بها البطريركية في عهد مؤسس المملكة الصربية زوبان ستيفان نيمانيا الكبير. لكن ليس

هناك من الآثـار في العقود الأولى للمملكـة الصربيـة، مـا يشير إلى الوجـود الصربي.

ولما كان البلاط الملكي في كوسوفو، كذلك كانت عدة عائلات صربيــة أرستقراطية معروفـة الـتي كـان لهـا أراضيهـا الشاسـعة، وكـانت الأديــرة والكنائس تمتلـك أراضـي شاسـعة أخـرى كالعـادة في كـل أوروبـا في القـرون الوسطى.

• • •

وننتقل الآن إلى التاريخ المعاصر، إذ شكل الألبان عام ١٨٧٨، [وهو عام انعقاد "مؤتمر برلين" للدول الكبرى آنذاك، الذي قرر مصـير المنطقـة]. "رابطة بريزرين" لمقاومة الحكم العثماني، ثم تشـكلت حكومـة مؤقتـة عـام ١٨٨١م. واتسـعت مقاومـة الكوسـوفيين للعثمـانيين حتـى نجحـوا في طــرد الجيش التركي، وضمت كوسوفو إلى دولة ألبانيا المسـتقلة عـام ١٩١٢، لكـن القوى العظمى أجبرت ألبانيـا علـى تسـليم "كوسـوفو" إلى صربيـا، في العـام التالي مباشرة. وكانت القوى العظمى آنذاك الصربية الأرثوذكسية حتــى عـام ١٩٣٩، عندما نقلت إلى بلجراد خوفـاً مـن الحـرب العالميـة الثانيـة.وبهـذه الكنائس عدد من الأيقونات والتماثيل، هي جزء من التراث الثقـافي للشـعب الصربي.

لكن هذا كله لا يعني بأي حال في أحقية جمهوريـة صربيـا. في أن تتبعها كوسوفو، وتسوم شعبها الهوان. فهناك من القوانين الدولية ما يمكن

أن يقدم لصربيا ضمانات من الألبان بالحفاظ على تراثهم، وزيارته. وإلا أصبح من حق أي شعب أن يستعبد شعباً آخر لوجود عامود تاريخي على أرضه.

وليست مهمة هذا الكتاب الغوص في تاريخ كوسوفو، فهو جزء من التاريخ المعقد للبلقان، لكن وظيفته أن نقدم المشكلة الحالية لألبان كوسوفو، وقد اكتفينا بهذا القدر من التاريخ الذي يؤصل المشكلة الكوسوفية، في هذا الفصل. وإن كنا نذكر في الصفحات التالية أهمية كوسوفو بالنسبة للصرب.

أقام الصرب احتفالا في كوسوفو بولي في الثامن والعشرين من يونيو ١٩٩٨، في الذكرى السنوية لمعركة كوسوفو. أصطف حرس الشرف من الجيش الوطني اليوجسلافي، وأطلق النار في الهواء، ٢١ طلقه. وأقام أسقف كوسوفو- الصربي الأرثوذكس- قداساً في الهواء الطلق، وقال الأسقف آرتيميي:

"نضرع إلى ا لله أن يمنحنا القوة أن نظل معاً، ونعيش، وأن يمنحنا الشجاعة ويمنح شعبنا القوة وجنودنا القدرة للدفاع عن كوسوفو! لنسلمها لأولادنا. وكل الشعب الصربي يدعوا أن يظل الصرب في كوسوفو. فهذا ما يجعلنا نستمر كمسيحيين".

كان الجمهور أقل بكثير من ذلك الذي أحتشد في نفس المكان قبل ذلك بتسع سنوات. آنذاك كانت الذكرى الستمائة لمعركة كوسوفو بولي،

حقل الطيور السوداء. كانت معركة حاسمة بين الصرب والإمبراطورية العثمانية،هزم فيها الصرب هزيمة منكرة، وتقهقروا بعدها إلى الشمال. وحضر الرئيس سلوبودان ميلو سيفيتش الحفل وخطب أمام الصرب المتحمسين خطاباً نارياً، وكان يتحدث من نفس المكان الذي تحدث منه الأسقف أرتيمي. الفارق انه في احتفال يونيو ١٩٩٨، كان جمع الصرب ينظر عبر حقل إلى منجم بيلاسيفاتش حيث كان يتحصن مقاتلو "جيش تحرير كوسوفو" KLA، فتوقف إنتاج المنجم من الفحم. هذا رغم أن المدينة لا تبعد كثيراً عن عاصمة كوسوفو: بريستينا. كان الرئيس ميلو سيفيتش قد بدأ منذ فبراير قمع ألبان كوسوفو، وأدى هذا إلى انتشار صيحة "الاستقلال" عن صربيا.

وبالنسبة للصرب جميعاً، فإن معركة كوسوفو بولي،هي أسطورة أكثر منها تاريخ، إذ تركز على ما يسمى "بعهد وميثاق كوسوفو" الذي يمجد الدفاع عن كوسوفو حتى لو أدى الأمر إلى... الهزيمة، كما حدث منذ ست قرون، وتقول الأسطورة أن الأمير لازار الذي قاد الصرب في هذه المعركة. وتقول انه حلم قبل المعركة بأن "صقراً" ظهر له وخيرة بين مملكة أرضية، أو مملكة سماوية. أختار بطبيعة الحال المملكة السماوية، فقال: "إنه الأفضل لي أن أموت أثناء المعركة، من أن أعيش في خزي وعار".

وقتل الأمير لازار في هذه المعركة.

وقال جيلاس الذي كان في قيادة عصبة الشيوعيين اليوجوسلاف أيام الزعيم جوزيف بروز تيتو ثم أصبح أشهر المنشقين في أوربا الشرقية:

"انزعوا كوسوفو من العقل والروح فلا نصبح موجودين كصرب. ولو لم تكن هناك معركة كوسوفو، لاخترعها الصرب، للمعانات والبطولة!".

ماذا حدث في ميدان المعركة؟

تقول الأسطورة الصربية أن الأتراك اعتقلوا الأمير لازار وشنقوه، وفقد الأتراك قائدهم السلطان مراد. وتقول الأسطورة أن فارساً صربياً هو ميلوس أوبيلتيش، أخترق الدفاعات التركية الحصينة صباح المعركة حتى أقترب من السلطان مراد، فتظاهر أنه يحييه ويقدم له الاحترامات، وطعنه بخنجر.

لكن الأسطورية الصربية تقول، أن الفارس ميلوس أوبيلتيش طرد على إثر اتهامات زائفة وجهها إليه فارس زميلة هو فوك براتكوفيتش، على أساس أنه خائن. فذهب وقتل السلطان مراد ليثبت أنه ليس خائناً، ولينقذ شرفة. وتستمر الأسطورة الصربية أن الفارس برانكوفيتش، كان هو الخائن الحقيقي، إذ انسحب مع قواته من ميدان المعركة.

ومع صمود القومية الصربية في القرن التاسع عشر، تعمد الصرب تجاهل بعض الحقائق: أنهم يصورونها الآن على أنها كانت معركة بين

الإسلام والمسيحية. لكن الغرب نفسه لا يعترف بهذه المعركة على أنها "معركة صليبية" لأن الصرب أرثوذوكس، أما المعارك الصليبية فقام بها ضد "الإسلام": الكاثوليك أساساً. ويتجاهل الصرب أن عدة قادة ألبان حاربوا في صفوفهم، وأن قوات السلطان مراد التركي كانت تضم يوبانيين وبلغار مسيحيين.

ركب الرئيس ميلو سيفيتش موجة التطرف القومي "وأسطورة كوسوفو" عند الصرب، فوصل إلى أعلى المناصب، لكن شعوب يوجوسلافيا السابقة دفعت الثمن غالياً. وصعد إلى السلطة بالصدفة التي عرف كيف يستغلها. أرسل إلى "كوسوفو" في أبريل عام ١٩٨٧، وكان مسئولاً "متواضعاً" في عصبة الشيوعيين اليوجوسلاف. كان صرب كوسوفو غاضبين، فأرسل ليهدئ من غضبهم، وكانوا يطالبون باتخاذ إجراءات مشددة لعقاب الألبان. وكان زعيم صرب كوسوفو ميروسلاف سوليفيتش، هو الذي يقود احتجاج صرب كوسوفو، وجهز لورياً محملاً بالحجارة ليواجه البوليس الصربي والمسئول الحزبي. لكن ميلو سيفيتش فهم "اللعبة" وأخذ جانب صرب كوسوفو على الفور، وقال لهم: "لا أحد يجرؤ على أن يمسكم" فأصبح بطلاً.

وصعد سلم السلطة بسرعة كبيرة، لكن سياساته القومية المتطرفة أدت إلى "خراب" يوجوسلافيا، وكانت سياساته هذه قصيرة النظر أدت إلى إصابة الصرب بخسائر فادحة. لقد استقلت جمهوريات الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، ولم يبقى في الاتحاد اليوجوسلافي (الفيدرالي) الجديد سوى

جمهورية الجبل الأسود، إلى جانب جمهورية صربيا. وهذه السياسات القصيرة النظر أدت إلى زيادة التوتر في كوسوفو، وإلى هجرة الصرب خوفاً على حياتهم. وحاول أن يعكس المد، فحاول على مدى السنوات الماضية قبل عمليات "التمشيط العرقي" التي قامت بها القوات الصربية ابتداء من شهر فبراير ١٩٩٨، تغير الوجه الديموجرافي لكوسوفو، بتسكين اللاجئين الصرب من كرواتيا، ومن كرايينا على وجه الخصوص في كوسوفو. لكن صرب كوسوفو يقولون أن هذه السياسة فشلت، رغم أن المسئولين من صرب كوسوفو، قدموا لهم الشقق و الوظائف، وهي نادرة في كوسوفو، إن لم تكن مستحيلة. وسبب عدم رضاهم عن معيشتهم في كوسوفو، ويرسل الأباء أبنائهم وزوجاتهم ليعيشوا في صربيا، إذا كان لهم أقارب هناك، لأن الصرب الذين يعيشون في كوسوفو هم هدف لمقاتلي "جيش تحرير كوسوفو". لذلك بدءوا في العودة والهجرة مرة ثانية. وكان ميروسلاف سوليفيتش الذي نظم التظاهرة ضد ميلو سيفيتش عام ١٩٨٧، أحد الذين تركوا كوسوفو! وهو يعيش الآن بمدينة "نيس" جنوب صربيا. ولا يعتبره صرب كوسوفو "خائناً" بل "ذكياً".

• • •

قصدنا أن نركز على أهمية كوسوفو لندرك أبعاد المشكلة. لكننا ركزنا في فصول الكتاب التالية على:

• دور الرئيس اليوجوسلافي سلوبودان ميلو سيفيتش ورأينا أنه مجرم حرب ينبغي محاكمته، وقدمنا الأدلة وذلك في الفصل الثالث من الكتاب.

- ثم نناقش في الفصل الرابع كيف بدأ انفجار كوسوفو
- ثم نقدم تطور الأزمة حتى وصلت إلى المذابح "والتمشيط العرقي" الذي قامت به القوات الصربية، وذلك في الفصل الخامس.
- بعدها يناقش الكتاب في الفصل السادس موقف الغرب والولايات المتحدة الأمريكية على وجه الخصوص من قضية كوسوفو.
- وننتقل إلى دراسة مفصلة عن "دبلوماسية الضربات الجوية" التي اعتمدتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد نهاية "الحرب الباردة" وذلك في الفصل السابع.
- ونناقش هذه الدبلوماسية في حالة كوسوفو تحت عنوان "الناتو يستعد" وذلك في الفصل الثامن،
- وبعدها نناقش "الدبلوماسية المكوكية" التي قام بها هولبروك بتنسيق مع "الناتو" للوصول إلى اتفاق مع الصرب.
- ثم الاتفاق ومعناه وأبعاده في الفصل التاسع
- ثم ما بعد الاتفاق في الفصل العاشر.

[٣] ميلو سيفيتش

مجرم حرب ينبغي تقديمه للمحاكمة

ميلو سيفيتش

مجرم حرب ينبغي تقديمه للمحكمة

القيادة الصربية، وعلى رأسها الرئيس اليوجوسلافي [الصربي] سلوبودان ميلو سيفيتش هى المسئول الأول عن المذابح الوحشية والحروب اليوجوسلافية، والصربية في الحقيقة، وآخرها مايحدث ضد ألبان كوسوفو. وهذا في حقيقة الأمر إجماع بين شرفاء العالم، وبينهم الصحفي والكاتب تيم جودة الذي أستعين بمقاله لتتبع جرائم هذا المجرم الذي يجب أن يحاكم دولياً على كل ما اقترف: ميلو سيفيتش. وقد نشر مقاله الرابع الذي يحكي فيه تجربته الشخصية بصحيفة الأوبزيرفر البريطانية الأسبوعية في عددها الصادر يوم الأحد أكتوبر ١٩٩٨.

• • •

عندما احترقت قرية سيلييية* CELIYE، إحمرت السماء وارتفع الدخان. زحفنا على بطوننا والدموع في أعيننا، لنشاهد ألسنة النيران، وهى تأتي على قريتنا بأكملها. قطع الصرب المسلحون علينا الطرق. وجمع الفلاحون المرعوبون في القرى المجاورة ينظرون بهلع إلى النيران، وهم يمسكون مجارة بأيديهم، وكأنما يدافعون عن منازلهم ضد هجوم الصرب.

* إحدى القرى بكرواتيا الشرقية

استمروا يسمعون الانفجارات المتتالية الصادرة عن القرية المحترقة. كانت الميليشيات الصربية قد عملت السلب والنهب في منازل القرية، وصبت عليها الكيروسين، ثم أشعلت فيها النيران، بعد أن ألقوا بالقنابل اليدوية على البيوت المشبعة بالكيروسين. لم تكن هذه إحدى قرى كوسوفو، وإنما كان ذلك الحريق يوم التاسع من يوليو عام ١٩٩١، ومازال هذا اليوم مائلاً أمامي كأنه الأمس. واتبع الصرب في قريتي نفس التقنية التي يتبعونها الآن في كوسوفو. كانت هذه أول قرية يحرقها الصرب في كل الحروب اليوجوسلافية. بعد هذه السنوات مازال الصرب يحرقون القرى والمدن ولم يوقفهم أحد.

بعد سيلييه آتى دور مدينة فوكوفار الغربية ومرة أخرى هربنا، وزحفنا على بطوننا في حقول الذرة، نلقي بأنظارنا والدموع تملأ أعيننا، وألسنة اللهب الحمراء تحرق المدينة التي يحاصرها الصرب. وتتناثر أشلاء أفراد الميليشيات الكروات بعد أن انفجرت ثكناتهم، لم تكن هناك جثة واحدة كاملة! كانت مدافع "الجيش الوطني اليوجوسلافي" تقصف المدينة عبر نهر الدانوب، فتدمرها تدميراً. وفي بلجراد كان الرئيس الصربي [آنذاك] سلوبودان ميلوسيفيتش يقول لشعب صربيا "لا تقلقوا، إن صربيا ليست في حرب مع أحد".

لكن صربيا خاضت ثلاثة حروب دموية، من سلوفينيا إلى كرواتيا إلى البوسنة، وهاهي تخوض حربها الرابعة في كوسوفو، فقدت فيها

يوجوسلافيا السابقة ربع مليون قتيل، وجرح أكثر من مليون، وأصبح فيهـا أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ. وجلبت هذه الحروب التعاسـة لملايـين أخـرى من بني البشـر. ودمـرت مئـات الآلاف مـن المنـازل، وأحرقـت قـرى ومـدن بأكملها.

كل ذلك ليتحقق حلـم "صربيـا الكـبرى"، ويظـل شخص واحـد في منصبه.

قال الرئيس الصربي -آنذاك- سلوبودان ميلو سيفيتش في جمـوع أنصاره الذين فاقوا مئات الآلاف عدداً، في نوفمبر ١٩٩٨،

"ليس هناك وقت للحزن، لكن وقتنا كله للنضال".

كانت يوجوسلافيا تنتقـل مـن "الشـيوعية" إلى "مـا بعـد الشـيوعية" فلعب ورقةالقومية الصربية المتطرفة الـتي اسـتخدمها ليظـل في السـلطة. وقـال ليلهب مشاعر جماهير الصرب الآن وهو يخوض "حربه" ضد كوسوفو.

"لقـد خضنـا الحربـين العـالميتين الأولى والثانيـة، ولا نملـك غـير قناعتنا بأننا نقاتل من أجل حريتنا. وسنستمر في معركـة كوسـوفو، رغـم أن أعـداء صربيـا مـن الأجـانب يتـآمرون ضدهـا، إلى جـانب أعدائنـا في الداخل.... إنهم يرغبون أن يكسبوا هذه الحرب، لكن .. محال".

لكن الصرب وصربيا كانوا يخسرون مـن البدايـة. ومـن الصعـب أن نصدق هذه المقولة، رغم أن أنصار ميلو سيفيتش هم الذين يقتلـون ويدمـرون

ويحرقون، في كوسوفو الآن، كما في كل حرب خاضوها من قبل- ومع ذلك نقول أنه سيخسر حرب كوسوفو وكل حرب يخوضها ضد أى شعب.

في البدء كانت حربه ضد جمهورية سلوفينيا، التي أطلق عليها "حرب الأيام العشرة"، ولن تحتل سوى هامشاً صغيراً في كتب التاريخ المعاصر، لم يكن ميلو سيفيتش يهتم بسلوفينيا إذا لم يكن بها كثير من الصرب. وانتقل بعدها إلى كرواتيا، فسلح صرب كرايينا، ووعدهم بأن يحميهم ضد الكروات. لكن بعد أربع سنوات، وكان الكروات قد تسلحوا، إستعادوا كرايينا الشرقية في لمح البصر في عملية خاطفة، فسحب وعوده لصرب كرايينا.

كان طابور اللاجئين الصرب في أغسطس ١٩٩٥، طويلاً هذه المرة، إذ وصل مائتي ألف صربي لاجئ. لكنه لم يعر ذلك أدنى اهتمام. ولم يعر العالم لذلك أدنى اهتمام. لقد فقد اهتمامه بما يحدث ويتكرر حدوثه. فعندما سقطت مدينة فوكوفار في نوفمبر عام ١٩٩١، في أيدي الصرب، دخلها قادة "الجيش الوطني اليوجوسلافي"، ذهبوا إلى مستشفي المدينة، وسحبوا مائتين من جرحاها والعاملين فيها من الأطباء و المرضين، وأخذوهم إلى مزرعة منعزلة، وضربوهم ثم أطلقوا عليهم الرصاص، فأردوهم قتلى. ونقل المراسلون هذا إلى العالم، فلم يتحرك. وبعدها عادوا إلى المدينة يحتفلون بانتصارهم و"تحرير المدينة"، فقتلوا سكانها عن بكرة أبيهم. ولم يتحرك العالم.

وبدأ بعدها تسليح صرب البوسنة ليبدءوا حرباً جديدة، كانت أكثر الحروب دموية. وقال الرئيس سلوبودان ميلو سيفيتش للمسلمين "استسلموا أو تموتوا" كان يعتقد أنه يقدم لمسلمي البوسنة معروفاً، بعد أن شهدوا ويلات الحرب ضد الكروات. لكن المسلمين رفضوا عرضه، أن يكونوا حزءاً من يوجوسلافيا الجديدة، وكان المسلمون يطلقون عليها ساخراً اسم "صربو سلافيا". وهاهو نفس الشيء يطلب من ألبان كوسوفو، ويريد العالم أجمع أن يجبرهم على قبوله.

لكن مسلمي البوسنة- والهرسك رفضوا العرض، فبدأ يجمع أنصاره من مجرمي الصرب، وعلى رأسهم الدكتور رادوفان كارادزيتش، والجنرال راتكو ملاديتش. كان سيخلق "صربيا الكبرى" بوسائل أخرى. وكان يقدر أن حربه ضد مسلمي البوسنة ستكون قصيرة، فهم لا يملكون السلاح، وغير منظمين. وبدأ له الأمر سهلاً.

ومنذ أبريل بدأت المدافع تقصف العاصمة البوسنية سيراييفو من التلال المحيطة بها، فتسقط بيوتها الواحد تلو الآخر. واندفع الصرب من الجنوب، ومن الشمال، في محاولة لقسم العاصمة إلى نصفين. لكن المسلمين أوقفوهم. وقطعت الكهرباء عن المدينة، وأصبح الطعام نادراً. وقاوم المسلمون مقاومة بطولية.

وأجتمع قادة الغرب، وقالوا أن الحل هو ضربات جوية. اجتمعوا في العاصمة البرتغالية لشبونة. وتلفتوا حولهم فوجدوا أن الرئيس الفرنسي

فرانسوا ميتران، تسلل وهم يتناولون طعام الغذاء، وطار إلى سيراييفو. ومهما كان ما قاله، إلا أنه أخاف الصرب، فوعدوه بفتح المطار، لتصل المؤن. وعاشت سيراييفو. وأساء الرئيس ميلو سيفيتش مرة أخرى، وأخطاء حساباته، فقد استمرت مقاومة مسلمي البوسنة ثلاث سنوات أخرى.

وافتضح الغرب أمام الرأي العالمي، بسبب المذابح الوحشية التي يرتكبها الصرب ضد مسلمي البوسنة- والهرسك. لكن "الناتو" كان أسير وضع غريب. فبريطانيا وفرنسا ودول أوربية أخرى لها قوات "لحفظ السلام" في البوسنة، وتقوم بتوزيع المواد الغذائية على مئات االألاف، ولا يمكنها أن تضحي بذلك مقابل ضربات "الناتو" للمواقع الصربية. وكان الحوار الدائر بين الحلفاء الغربيين يشنّف أذني ميلو سيفيتش. فالأمريكيون هم الذين كانوا يريدون توجيه الضربات الجوية، فيعلو صوت البريطانيين و الفرنسيين، بأنه ليس للأمريكيين قوات في البوسنة يخاطرون بها. وأخيراً وجه "الناتو" ضرباته صيف عام ١٩٩٥، وعقد اتفاق ديتون تحت إشراف الولايات المتحدة الأمريكية. لكن الضربات الجوية جاءت متأخرة للغاية، إذ قتل ثمانية آلاف من مسلمي البوسنة في سريبرنيتسا وحدها، هذا غير عشرات الألاف في بقية أنحاء البوسنة- والهرسك.

وبعد توقيع اتفاقيات ديتون بثلاث سنوات، بدأ الرئيس اليوجوسلافي- الآن- سلوبودان ميلو سيفيتش حربه في كوسوفو. وهو لا يهمه تهديدات "الناتو" طالما قواته أمضى سلاح، ألا وهو "عود الثقاب"

الذي يحرق المنازل والقرى والمدن. وسيضحي آلاف الصرب بحياتهم من أجل "كوسوفو صربية"، كما ضحى الآلاف من قبل من أجل كراييينا صربية، وفوكوفار صربية، ودوبروفنيك صربية. وكل هؤلاء قتلوا وضحوا في الحقيقة من أجل "سلوبودان ميلو سيفيتش".

لقد نزل شعب صربيا إلى شوارع بلجراد شتاء عام ١٩٩٦، في محاولة للتعبير عن رأيه و الإطاحة بمجرم الحرب، سلوبودان ميلو سيفيتش، لكنه مازال في مكانه، رغم أنه دمر البوسنة، ويحرق كوسوفو الآن. ولقد أقامت الأمم المتحدة عام ١٩٩٣ محكمة لاهاى لمحاكمة مجرمي الحرب في يوجوسلافيا السابقة.

وقضاة المحكمة يفكرون الآن في تقديم ميلوسيفيتش للمحاكمة.

• • •

بعد المذابح التي أرتكبها الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش في الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٨ في كوسوفو ضد المدنيين، أخذت تناقش مرة أخرى تقديمه لمحاكمته دولياً كمجرم حرب، بمحكمة لاهاي، والسؤال المطروح من وجهة نظر القانون الدولي هو هل يمكن تقديم رئيس دولة لهذه المحكمة؟ الإجابة على هذا السؤال سهلة، فعندما أرادت الإدارة الأمريكية "اصطياد" رئيس جمهورية بنما بأمريكا الوسطى الجنرال نورييجا، رتبت ضده الاتهامات وأمسكت به. أما ميلو سيفيتش، فليقتل من المدنيين

الكوسوفيين ما يشاء طالما أن "الجماعة الدولية" تريد له الاستمرار، بل وتتفاوض معه حول مستقبل البوسنة.

ولقد أنشئت "محكمة لاهاى" لمحاكمة مجرمي الحروب اليوجوسلافية في مايو عام ١٩٩٣، لمحاكمة الأفراد عن انتهاك القانون الدولي الإنساني في الاتحاد الفيدرالي اليوجسلافي، الذي تفكك إلى عدة جمهوريات مستقلة الآن، بعد حروب طاحنة ارتكبت فيها مذابح رهيبة، ارتكبتها قواته على وجه الخصوص في البوسنة وفي كوسوفو مؤخراً.

وفي الأسبوع الأخير من سبتمبر ١٩٩٨، قبضت قوات "الناتو" على المدعو ستيفان تودوروفيتش، وهو ضابط بوليس صربي سابق، ووجهت إليه ١٥ تهمة، من بينها: القتل، والتعذيب، والاغتصاب بمدينة بوسانسكي ساماتش البوسنية، قال الرئيس الأمريكي بيل كلينتون عن هذه الجرائم "أنها أحط وأحقر ما ارتكبته البشرية". لكن جرائمه التي أرتكبها تتضاءل إلى جانب ما أرتكبه الرئيس ميلو سيفيتش.

منذ أن اختير ميلو سيفيتش ليكون سكرتيراً عاماً للحزب الشيوعي- عصبة الشيوعيين اليوجوسلاف وهو يعد العدة لتأسيس "صربيا الكبرى" حلم أجداده. لكنه دخل في سلسلة حروب لا تنتهي ضد الإثنيات الأخرى. ومن أجل تحقيق هذا الحلم إرتكبت مذابح و"تمشيط عرقي" وبدأتحرشه بكوسوفو وسكانها الألبان منذ ذلك الوقت. ففي عام ١٩٨٧،

ذهب إلى هناك في زيارة رسمية بصحبة الرئيس الصربي آنذاك إيفان ستا مبوليتش، وخطب في جموع الصرب من سكان كوسوفو، قائلاً:

"ينبغي أن تستمروا في الحياة هنا في كوسوفو، من أجل أجدادكم وأحفادكم، وإلا دنست قبور أجدادكم، وخاب فأل أحفادكم".

بعد هذا الخطاب انفجرت القومية الصربية المتطرفة، وأحلام "صربيا الكبرى" وما أن حل خريف عام ١٩٨٧، حتى كان ميلو سيفيتش قد أزاح خائناً الرئيس الصربي ستامبلويتش، وأصبح هو رئيس صربيا. كان انقلابا "شيوعياً" تقليدياً مثل الانقلابات التي كانت تحدث في الأحزاب الشيوعية في العالم أجمع، باستثناء أن محركه لم يكن الأيديولوجية اليسارية أو اليمينية كالمعتاد، وإنما هستيريا القومية المتطرفة، في حقبة ما بعد "الحرب الباردة"، ولم يكن ميلو سيفيتش قد نطق بكلمة من هذا طوال تاريخه في عصبة الشيوعيين اليوجوسلاف. لكن هذه الأيديولوجية القومية المتطرفة كانت تشكل في خطورة لا مثيل لها في يوجوسلافيا، التي تتكون من موزايك قومي- انتهى في منطقة مماثلة.

لقد شجعت سياسات الرئيس ميلو سيفيتش، الكراهية القومية-العنصرية، التي أدت فيما أدت إلى ارتكاب الصرب مذبحة سريبرينتيا التي راح ضحيتها سبعة آلاف مسلم بالبوسنة الشرقية عام ١٩٩٦، قبل ثلاث سنوات فقط من أحداث البوسنة، وشجعت قوات الأمن الصربية على ذبح

الشيوخ والنساء والأطفال بكوسوفو في الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٨.
ووصف شهود العيان في كل هذه المذابح، كيف كان الصرب يقومون بهذه المذابح كالحيوانات. والمسألة الأساسية التي ينبغي أن نضعها في اعتبارها، ونحن نطالب بضرورة تقديم الرئيس اليوجوسلافي لمحكمة لاهاى، أنه يمسك بكل شئ بين يديه" ولا يمكن أن يحدث شئ من هذا دون علمه، بل دون أمره.

كان هو الذي آمر بكل هذه الجرائم: عندما قام "النمور" بقيادة "الجنرال أركان" بعمليات "التمشيط العرقي" في البوسنة، أو عندما ينطلق "القتلة" الذين أطلقوا من سجون صربيا، ودربوا، "لاصطياد" اللاجئين المسلمين الذين تركوا مدينة "زيبا"، أو الذين هربوا من سريبرينسيتا، فهو الذي أمر بهذا. وكل ما فعلته القوات الصربية في كوسوفو لا يحتاج إلى إثبات أو دليل، لقد كانت تتلقى أوامرها بشكل مباشر من بلجراد.

وكان ميلو سيفيتش في "حرب البوسنة" يبعد نفسه عن مسئولية المذابح و"التمشيط العرقي"، لأن الذين كانوا يرتكبونها من "الصرب المستقلين عن بلجراد"، رغم أن كل ما كان يتم كان بعلمه، وكان هو نفسه يطلق على من ارتكبوا المذابح اسم "عصابات القوميين" قادة سيئ السمعة من أمثال "أركان". لكن يمكن إثبات أنه حتى هذا غير صحيح، لأنه معروف أن مقر رئاسة "نمور" أركان، بشارع فاسا بيلاجيتس بجانب قصر الرئاسة الذي يقيم فيه الرئيس ميلو سيفيتش ببلجراد، بحي ديبد ينييه. وكانت كل إمدادات النمور من أسلحة وخلافه من العاصمة الصربية.

ولا شك أن "تسليك" أموره مع الأمريكيين وقبوله التفاوض في دييتون، جعل "الولايات المتحدة" تتغاضى عن جرائمه التي ارتكبها في حق البشرية، رغم أن البراهين متوفرة لمحاكمته بلاهاى. غير أن خبيرين أمريكيين هما بول ويليامز ونورمان سيجار، نشرا كتاباً. تقريراً بعنوان واضح كل الوضوح:

يقدم مادة فاضحة عن الرئيس ميلو سيفيتش، رغم أنها معروفة للرأى العام. وكشف الكاتبان الستار عن بيان قدمه الكولونيل الصربي فيسيلين سليفا نكانين، الذي كان مسئولاً عن الأمن في "جبهة فوكوفار". قال الكولونيل أنه سأل الجنرال المسئول عن الهجوم على المدينة، فرد عليه "إن الأوامر صادرة من ديدينييه، وهي إشارة إلى الرئيس ميلو سيفيتش". وقيل له أيضاً: "أنه سياسي شعبي للغاية، هو الذي أمر بقتل كل المسجونين الذين استسلموا في فوكوفار".

ولا يمكن لميلو سيفيتش أن ينكر علمه بمذبحة مرضى مستشفي فوكوفار العمومي، لأن "لجنة هيلسنكي" أرسلت له تقريراً بالأمر في حينه، وقال أنه قرأه. ولم يتخذ أي إجراء ضد هؤلاء الذين ارتكبوا هذه المذبحة. ويمكن أن يقدم للمحاكمة بمحكمة لاهاى الدولية، بهذه التهمة وحدها.

وفي عام ١٩٩٥، بعد اتفاقيات دييتون للسلام في البوسنة "ساعده الغرب" إلى أن يكون زعيم صرب البوسنة الدكتور رادوفان كارادزيتش هو

كبش الفداء، وتنصل هو من جرائم مسلمي البوسنة وطالب مع المطالبين بمحاكمة كبش الفداء، وهو أيضاً مجرم حرب، لكنه يختفي في البوسنة ولم يقبض علية حتى كتابة هذه السطور، وكذا الجنرال راتكو ملاديتش. ولسوء حظه فليس لديه شخصيات إجرامية مثل هذه في كوسوفو حتى تكون كبش فداء. فالأوامر تصدر منه لقوات الأمن الصربية مباشرة.

فهؤلاء الذين ذبحوا سكان قرية جورنيي أوبر ينييه من ألبان كوسوفو، في الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٨، هم نفسهم الذين ارتكبوا جرائم مماثلة في البوسنة. ففي كوسوفو قالوا أنهم من "قوات البوليس الصربية". وهو على الأقل يحصر المسئولية الجنائية عند الحساب. ولقد عذب أهل القرية الكوسوفية ثم قتلوا في مذبحة جماعية. ولم يقدم أحد للمحاكمة. وهذا دليل على أن القتلة قد تلقوا أوامرهم من الرئيس ميلو سيفيتش. فهذه هي مسئوليته طبقاً للقانون الإنساني الدولي. وهو لا يمكنه أن يقدم أحداً منه ليحاكم، لأنه سيقول أنه تلقى أوامر التعذيب والذبح منه.

[٤] بداية الانفجار

بداية الانفجار

وأنفجر الموقف في "كوسوفو".

لم يكن هذا الانفجـار فجائيـاً، وإنما توقعـه كثـيرون. فقـد ظلـت "كوسوفو" "إقليمياً" تابعاً لجمهوريـة صربيـا، تحكمـه بلجـراد الآن حكمـاً مباشراً، بعد أن كأن يتمتع بـ"الحكم الذاتي".

وسيسـجل تـاريخ "كوسـوفو" أن الانفجـار بـدأ بمقتـل المـدرس الألباني- الكوسوفي البسيط هـاليت جيـش، برصـاص البوليـس الصربـي. لم يكن يشترك في أى نشاط سياسي، وإنما قتل بالصدفة. وعندما بـدأت عائلتـه تتلقى التعازي بصالة منزله المتواضـع بقريـة "لوسا"، حيـث تدفـق الألبـان بالآلاف للتعزية.

أجتمع عجائز القرية، وهم حكماؤها أيضاً، وقالوا ضمن ما قـالوا- أن ألبان كوسوفو لم يعودوا يقبلون القمـع الصربـي، بعـد أن أستمر الصـرب "يحتلون بلادهم لعشرات العقود. وكان ما قالوه تعبيراً صادقاً عما يشعر بـه كل ألباني في كوسوفو آنذاك.

كـان شـباب كوسـوفو الألبـاني قـد نظـم نفسـه في "جيـش تحريـر كوسوفو" بعد أن يأس الجميع مما تردده أحزاب كوسـوفو الألبانيـة. وحـرر مقاتلو "الجيش" منطقة جبلية كبيرة حول قرية "لوسا". كانت هذه المنـاطق

الجبلية لا تبعد من عاصمة "الإقليم" بريشتينا بأكثر من خمسين دقيقة بالسيارة. لم تكن القوات الصربية تجرؤ على اقتحام هذه المنطقة المحررة.

لكن السكوت على هذا الوضع كان معناه أن بلجراد تتقبله كحقيقة واقعة، مع استيلاء "الجيش" على مناطق أخرى مجاورة. فاقتحم البوليس الصربي إحدى قرى المنطقة يوم ٢٥ نوفمبر ١٩٩٧، لإجبار الأهالي على دفع الضرائب لبلجراد. فأطلق الأهالي الرصاص على قوات البوليس الصربي، حتى اضطروهم للتراجع من حيث أتوا.

عاد البوليس إلى القرية مرة أخرى، بعد أن عزز قواته، لكنه وجد أن الأهالي قد أغلقوا الطرق المؤدية إلى القرية بالمتاريس. وفتح المتمردون النيران على قوات البوليس الصربي، وأطلقوا عليها القنابل اليدوية بواسطة الصواريخ من التلال العالية المحيطة بالمنطقة. كان المتمردون يتوقعون عودتها فأعدوا لها العدة بمزيد من التمرد. واضطرت القوات الصربية إلى التراجع. وفي تراجعها أخذت تطلق النار بشكل عشوائي على أحد المنازل وأحد المحال، وجامع ومدرسة فأصيب المدرس الألباني الشاب هاليت جيشي، وشيع جنازته عشرون ألفاً من أهالي القرى المجاورة. وبين هؤلاء المشيعين، كان هناك ثلاثة شبان يرتدون الكاكي ويضعون أقنعة على وجوههم فلا تظهر منها غير عيونهم، وكل منهم يحمل كلاشينكوفاً. وأعلن أحدهم أنهم يمثلون "جيش تحرير كوسوفو" فهتفت جماهير المشيعين:

"يو-سي.كي U.C.K "، وهو شعار الجيش، وكانت "المنظمة" قد أعلنت مسئوليتها عن عدد من الهجمات المسلحة على مراكز البوليس الصربي وعلى عدد من الألبان المتعاونين مع السلطة الصربية.

دقت هذه الأحداث ناقوس الخطر، عند الحكومات الغربية، ونبهتا إلى ضرورة حل مشكلة كوسوفو قبل فوات الأوان. "فجيش تحرير كوسوفو" كان موجوداً منذ سنوات بشكل جنيني، لكن السكوت الأن، يزيد من تفاقم المشكلة. إذ بدأ ألبان كوسوفو ينفضون من حول أحزابهم السياسية التقليدية، بعد أن أدركوا أن الصرب لن يمنحوا كوسوفو الحرية دون كفاح، وأن المجتمع الدولي لن ينفعهم، كما خان البوسنة من قبل. ولعب القمع الصربي، وفقر كوسوفو دوراً كبيراً في هذا.

ويخرج الوضع عن سيطرة بلجراد، مما قد يثير حرباً اثنية-قومية جديدة تشنها صربيا على ألبان كوسوفو. ولاشك أن هذا سيشعل الوضع في ألبانيا المجاورة، وفي جمهورية مقدونيا، حيث تشكل الأقلية-الاثنية الألبانية، مجموعة كبيرة.

تجاهلت بلجراد الأوضاع الجديدة في العالم، وتعطش كل شعب لحريته، وعدم قبوله لأي نظام لا يرضي عنه ولا يعطيه حرياته، وخاصة بعد سقوط "سور برلين" في أوربا. ورفضت حكومة بلجراد إجراء أي حوار مع ألبان كوسوفو كما رفضت أي محاولة من الوسطاء الدوليين لحل مشكلة

كوسوفو. بل أنها قدمت خمسة عشر ألبانيا- كوسوفياً للمحاكمة بتهمة "الإرهاب" وعضوية جيش تحرير كوسوفو، ثم حكم عليهم في منتصف ديسمبر ١٩٩٧، بأحكام تتراوح بين أربع سجن إلى عشرين عاماً. وأدان محامو الدفاع والدبلوماسيون الغربيون المحاكمة، وقالوا أنها كانت "ملهاة هزلية"، لأنها اعتمدت عل اعترافات المتهمين التي أخذت تحت التعذيب.

• • •

اعتمدت قيادة "جيش تحرير كوسوفو" على أن الرأي الغربي والعالمي "يساند" قضية كوسوفو، فوسعوا من الأراضي التي "يحررونها"، وكانت التقديرات السياسية للقيادة الصربية أن الوضع يخدمها: فالرئيس الأمريكي بيل كلينتون مشغول بقضيته "الجنسية" الخاصة وإزاحته من "البيت الأبيض"، وتشهد ألبانيا حالة انهيار سياسي- واقتصادي- واجتماعي عام، كما أن الغرب لا يريد انهيار اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة.

وتحرك الصرب، فأحرقوا حقول فلاحي ألبان كوسوفو، وتشرد هؤلاء، فنزح الشيوخ والنساء والأطفال إلى المدن في جماعات، بينما كانت الإمدادات الصربية في طريقها إلى بريشتينا. وأخذت طائرات الهليكوبتر المسلحة، الروسية الصنع، تهاجم القرى وهي تطير على ارتفاع منخفض.

لقد تكرر هذا المنظر من قبل في البوسنة- والهرسك عام ١٩٩٢، مع نفس وحدة البوليس الخاصة- الصربية. وكان المنظر يتكرر بالنسبة

لكبار السن من ألبان كوسوفو. فهم يتذكرون صدامات أكثر دموية وإعدامات بالجملة، قام بها الأنصار في قرى كوسوفو، أيام الحرب العالمية الثانية.

ولا يريد الصرب التخلي عن شبر واحد من كوسوفو، وقد سحبوا من "الإقليم" حتى "الحكم الذاتي" الذي منحه إياها الدستور اليوجوسلافي لعام ١٩٧٤، وبلجراد تعتبر "إقليم" كوسوفو صربياً خالصاً، رغم أن ٩٠٪ من سكانه من الألبان. وشهدت كوسوفو أول مملكة صربية أعلنت في العصر الوسيط، ويعتبر الصرب معاركهم الحالية للحفاظ على كوسوفو ضمن جمهورية صربيا، ما هي إلا امتداد لمعركتهم الكبرى عام ١٣٨٩ ضد العثمانيين، عندما دفعهم الجيش التركي شمالاً إلى الدانوب.

دخلت قوات الأمن الصربية، بيوت الفلاحين الألبان، وقتلت عائلات بأكملها على أساس أن شبابها في "جيش تحرير كوسوفو"، الإرهابي. ورفض ألبان كوسوفو إدانة الرئيس الأمريكي "لجيش تحرير كوسوفو" على أساي أنها منظمة إرهابية. فقد كان هذا الاتهام من الرئيس الأمريكي سلاحاً قوياً في يد الرئيس ميلو سيفتش، وكان يعني "ضوءاً أخضراً" ليهاجم الصرب القرى الألبانية، ويصفون حساباتهم التاريخية، في مذابح وحشية ليس لها مثيل. فقد كان البوليس الصربي يدخل بيوت الألبان، ويقتل عائلات بأكملها بمنتهى البرود. ويتهم الألبان الصرب بأنهم يقومون بعملية "تمشيط عرقي" بقسوة لا مثيل لها، لإرهاب الألبان، ودفعهم إلى هجرة واسعة إلى ألبانيا وإلى مقدونيا.

كانت الحروب التي نشبت في الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، في بداية التسعينات، داخل العائلة السلافنية الواحدة، في سلوفينيا، وفي كرواتيا، وفي البوسنة- والهرسك، عائلة سلافية واحدة تتحدث نفس اللغة وأن كان السلوفانيون والكروات كاثوليك، والصرب أرثوذوكس، والبوسنيون مسلمين، أما في "كوسوفو" فالصدام بين قوميتين كل منهما له لغته ودينه وتقاليده وعاداته وحضارته. الصرب الأرثوذكس، والألبان- الكسوفيون المسلمون. ولا يختلط أفراد القوميتين: فالصرب وجهتهم بلجراد أما شباب الألبان فيركبون بمجهوداتهم الخاصة أطباق التلفزيون، ويتفرجون على قناة السي. أن. أن الأمريكية و التلفزيون الإيطالي. ولا يعرفون من الصرب غير رجال البوليس وقوات الجيش اليوجوسلافي التي دخلت مؤخراً قراهم ومدنهم.

ومرة أخرى غرق الرئيس سلوبودأن ميلو سيفتش،السلام الهش في البلقان، بعد أن أثار الحروب الاثنية، التي تفككت يوجوسلافيا على إثرها. فالحرب التي يشنها في كوسوفو تتصاعد. ومجموعة الاتصال [تتكون من أربع دول أوربية بالإضافة إلى روسيا والولايات المتحدة الأمريكية] نتابع ما يحدث، واتخذت قرارها بأن تجتمع في آخر أبريل عام ١٩٩٨، لتقرر ما إذا كانت ستشدد من العقوبات الاقتصادية، ضد الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، الذي لم يتبق منه سوى جمهورية الجبل الأسود مع صربيا.

ولم يفعل الرئيس ميلو سيفتش الكثير ليحل مشكلة كوسوفو ويتفادى غضب الغرب.

ولا تقتصر حربه على "كوسوفو" أنه يشن حرب أخرى ضد رئيس جمهورية الجبل الأسود الجديد، الذي يعاديه ويقف مع الغرب، وحربه هذه من الحروب الباردة. وهو يقف أيضاً ضد رئيس وزراء ما اسمه "ربيابليكا سيربسكا" ميلوراد دوديك الذي أنتخب مؤخراً لأنه يؤيد اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة. وهو يواجه معارضة في صربيا نفسها، رغم أنه اختير رئيساً للاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي الجديد.

والاقتصاد الصربي، على شفا الهاوية. وأصبحت "الإصلاحات "نكته"، واستقال دعاة الإصلاح الاقتصادي يوم ٩ إبريل ١٩٩٨، من الحكومة اليوجوسلافية. واضطرت الحكومة لتخفيض قيمة العملة- الدينار- بمقدار ٤٥٪، وارتفعت الأسعار بشكل جنوني. وهاهو الأن يدخل بلاده في مشكلة جديدة، ستزيد من تفاقم هذه الأوضاع. وقد تجاهل طلب "مجموعة الاتصال" بسحب فرقة البوليس- الصربي- الخاصة التابعة لوزارة الداخلية من كوسوفو. ورفض أي وساطة خارجية لحل المشكلة، بل أنه قرر إجراء استفتاء عاماً في جمهورية صربيا يوم ٢٣ إبريل ١٩٩٨، بألا يتدخل "الأجانب" في شئون يوجوسلافيا، وصوتت الغالبية إلى جانبه. فمن ذا الذي يريد أن يتدخل الأجانب في بلده؟

وفي مجموعة الاتصال، كانت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، تتخذان موقفاً متشدداً من الرئيس اليوجوسلافي، بينما خففت روسيا وفرنسا وإيطاليا من مواقفها المتشددة، فطالبت بمنح الرئيس اليوجوسلافي مهلة، وتخفيف العقوبات لعدم تعاونه. واستغل الرئيس اليوجوسلافي هذه التناقضات في المواقف أفضل استغلال. لكن مقابل ذلك بدأ رئيس جمهورية الجبل الأسود الجديد ميلو ديوكانو فيتش، الذي فاز في انتخابات أجريت في شهر أكتوبر ١٩٩٧، على أحد أنصار ميلو سيفيتش، بدأت شقة الخلاف تزداد بينه وبين ميلو سيفيتش، خاصة وأن جمهورية الجبل الأسود تضار مثلها مثل جمهورية صربيا. ويحاول رئيس جمهورية الجبل الأسود "تحديث" بلاده.

والرئيس اليوجوسلافي بهذا، يعادي كل الآخرين. وعند نقطة معينة قد يأتي وقت ليصبح هذا ضد مصلحة يوجوسلافيا ذاتها، خاصة وأن الرئيس ميلو سيفيتش يلعب ورقة "التطرف القومي". فالصرب لا يشكلون أكثر من ثلثي سكان صربيا. والاتجاه العام يسير نحو الأقليات، وخاصة ألبان كوسوفو أفقر سكان صربيا، الذين يتوالدون بسرعة أكثر من أي مجموعة أخرى: إلى جانب المسلمين الآخرين سكان سانجاك SANJAK في الجنوب، وفويقودينا وسكانها من المجريين إلى الشمال وأقليات أخرى. وبدأت كل أقلية تطالب بالحكم الذاتي.

• • •

لذا تخشى أوربا أن يخرج الأمر عن سيطرة بلجراد، وتنتشر العمليات لتشمل كل كوسوفو في هذا الجو العدائي. وليست المفاوضات بجديدة على الجانبين، فهي قصة دامية تعود إلى عام ١٣٨٩، عندما نادى الأمير لازار الأمة الصربية:

"أنه لأفضل لنا أيها الصرب أن نموت في المعركة، عن العيش في العار"!

ويعيد الرئيس اليوجوسلافي [الصربي] ميلو سيفيتش هذا النداء التاريخي الذي علا به صوت "الأمير لازار" منذ ستة قرون، فأشعل نار الفتنة "القومية- الاثنية" عندما اختير رئيساً للحزب الاشتراكي اليوجوسلافي ورئيساً لصربيا، وبدأ فترة رئاسته بخطاب ناري "بحقل الطيور السوداء"، كان هو الذي أشعل نيران الحروب.

قال الرئيس سلوبودأن ميلو سيفيتش:

- "أيها الرفاق... عليكم البقاء هنا في البوسنة. فهذا بلدكم، وهذه منازلكم وحقولكم. وحدائقكم... فأبداً لم يكن من صفات الصرب ولا أهل الجبل الأسود التراجع أمام العقبات، أو العودة إلى الوراء عندما يجب أن يقاتلوا. أنه قدركم. عليكم البقاء هنا من أجل أجدادكم، وفي سبيل أبناءكم وأحفادكم ".

والبلقان عموماً عبوة متفجرات قابلة للانفجار في أية لحظـة، ومـا يفعله الرئيس اليوجوسلافي سلوبودان ميلو سيفيتش من عمليات قمـع وقتـل في كوسـوفو سـتؤدي إلى تفجـير "العبـوة" إذا لم تحـل المشـكلة سياسـياً. فالسيناريو الذي يمكن أن تنتهي إليه الأحداث مخيف.

خاصة ما تعتبره بلجراد خطأ "مشكلة يوجوسلافية داخلية"!: لذا هناك سيناريو يخشاه الغرب:

<u>فأولاً:</u> إعلان الرئيس اليوجوسلافي سلوبودأن ميلو سيفيتش حالـة الطوارئ في كوسوفو، وإصدار أمره للجيش بأن يذهب هناك ليبـدأ حربـاً اثنيـة مثـل تلـك الـتي حدثـت في البوسـنة. وهنـا سـيلجأ ألبـان كوسـوفو إلى "العصيـان المدني"، هذا إذا ما تحدثنا عن مجموع السكان، أما "جيش تحرير كوسوفو" الذي لاشك سيتزايد عدد أعضائه، فيقوم بتنظيم هجوم شـامل علـى الصـرب والأهداف الصربية، معلنين عـن أنفسـهم "حركـة مقاومـة مسـلحة في دولـة تحت الاحتلال الصربي".

<u>ثانيا:</u> يدفـع الألبـان بسـخاء "جيـش تحريـر كوسـوفو"، لشـراء الأسـلحة. ويوجه ألبان كوسوفو نداءات إلى العالم العربي والإسلامي من أجل الأسـلحة والمناضلين، وتهب تركيا لمساندة ألبان كوسوفو.

<u>ثالثاً:</u> لأن تركيا حركت جيشها، فإن اليونان تعبئ جيشـها أتوماتيكيـاً إلى الحدود، ولتمنع التدفق المنتظر للاجئين. وهنـاك محـور أثينـا– وبلجـراد،

فتلجأ اليونان إلى استخدام الفيتو لتشل أى قرار بضرب الصرب، في "الناتو" وفي "الاتحاد الأوربي". ولن يكون أمام بروكسيل إلا طلب "الهدوء" من الجانبين. وتعلن تركيا "التعبئة الدفاعية" لمساعدة كوسوفو وألبانيا.

رابعاً: يساند ألبان مقدونيا (الجمهورية اليوجوسلافية السابقة] أولاد عمومتهم ألبان كوسوفو، هنا تلجأ يوجوسلافيا إلى "غزو" مقدونيا، رغم وجود جنود الأمم المتحدة هناك.

وهنا يتحرك الجيش اليوناني لحماية "مقدونيا- اليونانية تاريخياً". وتضم بلغاريا شرقي مقدونيا إلى أراضيها لحماية الأقلية البلغارية التي تعيش هناك. وهكذا تختفي مقدونيا عملياً من الوجود كدولة.

خامساً: تنتهز جمهورية الجبل الأسود الفرصة، لتنفصل عن الاتحاد اليوجوسلافي، وهذا ما يريده معظم أهلها. ويعلن الرئيس ميلو سيفيتش أن هذا الانفصال غير قانوني، ويرسل قوات الجيش اليوجوسلافي إلى هناك، وتضرب بذلك عصفورين بحجر واحد، حيث تكون على مرمى حجر من ألبانيا.

سادساً: يعلن مسلمو البوسنة مساندتهم لألبان كوسوفو فيستثير ذلك صرب البوسنة، ويبدأ الصراع بينهما في جولة جديدة، خاصة وبين الجانبين مشاكل متراكمة رغم اتفاقيات ديتون للسلام في البوسنة. هنا يعلن الرئيس

سلوبودان ميلو سيفيتش عن إنشاء "صربيا الكبرى"، بعد أن تعلن صربيا عن حالة الطوارئ في إقليم "فويفودينا" الشمالي، حيث أغلبية مجرية تنادي بودابست لحمايتها، فتعبئ المجر قواتها، وتحشدها على حدودها مع صربيا.

سابعاً: تساند روسيا حليفتها صربيا السلافية مثلها، كما فعلت عام ١٩١٤، وهنا تحرك تركيا قواتها نحو الحدود لحماية مصالح الأقلية التركية في بلغاريا، وتعلن أن اليونان "تكسر" قواعد الناتو، فتضم إليها جزر بحر إيجه الغنية بالبترول.

وحقيقة الأمر أن هذا هو السيناريو "الكابوس" الذي يمكن أن يحدث هناك قضايا كثيرة تمنع حدوثه. ولكن من يعلم، فقد يتحقق افتراض المراقبين، أو حتى جزءًا منه.

[٥] العمليات الصربية والسيناريو المخيف

العمليات الصربية والسيناريو المخيف

اتسعت رقعة المناطق التي حررها "جيش تحرير كوسفو"، فخاضت بلجراد حرباً وحشية لتصفية "المنظمة" والقيام بتصفيات لحسابات تاريخية قديمة ضد ألبان كوسوفو. ولم تهدد هذه الحرب بسيناريو رهيب يشترك فيه بعض الجيران البلقان، ولكنها هددت بجر "الناتو" بدوله الستة عشر إلى المعركة. كانت الحرب التي تشنها قوات الأمن الصربية وحشية. بحجة تصفية مقاتلي "جيش التحرير"، فأحرقت قرى بأكملها، وأخذ عدد اللاجئين من ألبان كوسوفو يزداد يوماً بعد يوم.

وفي بداية الأسبوع الثاني من يونيو ١٩٩٨، اجتمع قادة "الناتو" لمناقشة كيفية التدخل. وكان هذا يعني أن "الناتو" يعلن "الحرب" على دولة أوربية لأول مرة– رغم أن هذه الكلمة لم تستخدم. رغم أنه وجهت ضربات جوية للصرب أيضاً، في البوسنة، قبل هذا بثلاث سنوات. لكن الغرب كأن يأمل، أن يرجع الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش إلى "صوابه" قبل "التدخل"من قبل حلف "الناتو".

كان هجوم القوات الصربية قد بدأ في شهر مايو ١٩٩٨، وراح ضحيته حوالي ثلاثمائة، وتشرد ٦٥ آلف لاجئ ألباني– كوسوفي، على أساس أنها حملة ضد مؤيدي "جيش التحرير" وحقيقة الأمر أن معظم ألبان

كوسوفو يؤيدونه. وكانت القوات الصربية قد "أفرغت" مدينة ديكن من سكانها الذين يبلغ عددهم مائتي ألف. ثم تحركت القوات إلى منطقة "دياكوفيتسا" لإجلاء ٥٠ ألفاً لتأمين الطريق إلى مدينة بيش. [أنظر الخريطة] وتفضل القوات الصربية إجلاء البلاد والقرى من سكانها، عن إيقاف الأموال والسلاح التي تتدفق عبر الحدود المشتركة مع ألبانيا.

لكن معنى ذلك أن تفتح القيادة الصربية عدة جبهات. ذلك أن "جيش تحرير كوسوفو" كان يتحرك بكامل حريته- حتى ذلك الوقت- في وسط كوسوفو، وهو مازال يسيطر على الطريق الذي يربط بين العاصمة بريشتينا ومدينة بيتش، ولا يزيد بعد بعض هذه المناطق عن العاصمة ذاتها بأكثر من عشرين كيلومتراً. وهذا هو السبب في أن رأي بعض أعضاء "الناتو"، أنه لا يمكن إيقاف الرئيس اليوجسلافي ميلو سيفيتش إلا بالقوة. وهذه خبراتهم من البوسنة.

ويتحرك رئيس الوزراء البريطاني توني بلير، بسرعة وحسم ضد القيادة الصربية بسبب تصرفاتها الوحشية والهمجية في كوسوفو، ذلك لأن هناك اتهامات لبريطانيا أنها كانت متهاونة مع الصرب في البوسنة. من هنا قوله للرئيس الأمريكي بيل كلينتون وللرئيس الروسي بوريس يلتسين: "يجب أن نستعد لاستخدام القوة وبحسم ضد صربيا". ووزارة الخارجية الأمريكية متحمسة لهذا، لكن البنتاجون غير متحمس بنفس الدرجة. لذا تم اجتماع بين الجانبين يوم ٨ يونيو ١٩٩٨، اتفق فيه على اتخاذ إجراءات

صارمة ضد الصرب، مع تفضيل توجيه ضربات جوية. ووصف الرئيس الأمريكي بيل كلينتون "أن ما يفعله الصرب في كوسوفو هو "تمشيط عرقي"، ويجب منعه حتى لاتتكرر مأساة البوسنة". لكن تظل هذه مجرد أقوال، فما حدث في البوسنة، من الواضح أنه يتكرر وبنفس الصورة في كوسوفو، والغرب الذي يهدد بالأقوال الأن، يعلم هذا أكثر من غيره. وإذا كان "الناتو" هو الذي يوجه ضربات للصرب، فليس هناك إجماع حتى الأن بين الأعضاء الستة عشر للحلف.

فوزير الدفاع الألماني- آنذاك- فولكر رويهي [في حكومة المستشار الألماني السابق الدكتور هيلموت شميت] قال في اجتماع "الناتو" بصراحة بالغة، أن وزراء خارجية دول الحلف صرحوا تصريحات منافقة، عندما اقترحوا أن يتخذ "الحلف" موقفاً حاسماً في كوسوفو، وهم يعلمون أن حكوماتهم قد منعت خبراء الحلف العسكريين من وضع أي خطة لتوجيه ضربات إلى الصرب. وكان يقصد بالتحديد حكومتي فرنسا وألمانيا! ثم هناك موقف روسيا المؤيد للصرب على طول الخط: فهو تحالف سلافي وقديم في نفس الوقت بين الروس والصرب. وكان الرئيس الروسي بوريس يبلتسن يزور ألمانيا في ذلك الأسبوع، فصرح هناك بأنه سيحاول إثناء الرئيس الصربي الرئيس اليوجوسلافي سلوبودأن ميلو سيفيتش عما يقوم به في كوسوفو. لكن وزارة الخارجية الروسية مصممة على أن أي شئ يقوم به "الحلف" ينبغي أن يتم بعد موافقة "مجلس الأمن"، حيث تمتلك روسيا

"حق الفيتو". بينما تقول حكومات الغرب المتشددة، أن موافقة "مجلس الأمن" مرغوبة، وأن كانت ليست ضرورية. المهم أن حصيلة هذا كله، ستظهر بعد قليل، ذلك أن وزراء دفاع "حلف الأطلنطي" يجتمعون ببروكسل يوم ١١ يونيو ١٩٩٨. وبعدها بيوم واحد، يجتمع ممثلو مجموعة الاتصال بلندن. بعدها يتخذ قادة حكومات دول "الحلف" قرارهم، على ألا يتضمن إرسال قوات إلى كوسوفو. لكن لو اتخذ هذا القرار، فليس معنى ذلك أن تبدأ الضربات الجوية في الحال. ذلك أن رؤساء الأركان يصممون على وضع خطة لضرب أهداف بعينها، حتى لا يتم توجيه الضربات الجوية بشكل عشوائي، وهذا ليس سهلاً إذ يتطلب جمع معلومات واختيار أهداف بعينها.

ويجب أن نضع في اعتبارنا أن حكومات الغرب كلها، تجمع على إدانة "جيش تحرير كوسوفو" وهدفه المعلن للاستقلال، بعد الانفصال عن صربيا. فهي تخشى ما يجره سيناريو "استقلال كوسوفو"، إذ سيطالب ألبان مقدونيا بالإستقلال، أما عندما يوجه "الناتو" ضرباته الجوية، آنذاك يضطر الرئيس ميلو سيفيتش إلى سحب قوات الجيش، وقوات وزارة الخارجية من منطقة الحرب" في كوسوفو، ويقطع هذا الطريق على "الانفصاليين"، وهو الاسم الذي يطلق في الغرب على مقاتلي "جيش تحرير كوسوفو".

بعد خمسة أشهر فقط من الكفاح المسلح الذي شنه المقاتلون الألبان، كانوا قد حرروا رقعة واسعة من أراضي كوسوفو. بعدها في شهر يوليه نزلوا

من الجبال إلى مدينة بريزين. ولم تسكت القوات الصربية، واستخدمت المدفعية الثقيلة، لأن هذه كانت تحتل فيها قوات "جيش تحرير كوسوفو" أحد المدن الكوسوفية، وهدفه توسيع المناطق المحررة إلى الغرب وإلى الجنوب من العاصمة بريشتينا. وهذا معناه قطع خطوط الإمدادات على القوات الصربية التي تعسكر على الحدود مع ألبانيا، وخطوط الإمدادات بهذا طويلة لكنها تمر بمدينة بريزين في عمق الجنوب- الغربي. ويشير هذا إلى وجود جنود محترفين بين المقاتلين. وبالفعل هناك معلومات عن وصول عدد من قدامى المحاربين في الجيش اليوجوسلافي، من دول أوربا الغربية.

ويثير الصرب عواطف الرأي العام الأوربي الذي يتعاطف مع ألبان كوسوفو كلما نقلت وسائل الإعلام "التمشيط العرقي" الإجرامي الذي تقوم به القوات الصربية. وتدعي وسائل الإعلام الصربية أن "جيش التحرير" يريد إقامة حكومة إسلامية أصولية في كوسوفو، مما يثير الانقسام لدى الأقليات عبر أوربا. وادعت وسائل الإعلام الصربية كذلك أن من جثث قتلى "جيش التحرير"، جثث لشباب من اليمن والمملكة السعودية ودول إسلامية أخرى.

وإذا كان الشعب الصربي متحمساً لـ"صربيا الكبرى"، بعد أن أشعل الرئيس ميلو سيفيتش العواطف القومية- المتطرفة، إلا أن أهالي المجندين على وجه الخصوص ضد الحرب، وضد إرسال أبنائهم إلى

الجبهة، ذلك أن الجيش اليوجوسلافي يعمل بأسلوب "التجنيد الإجباري".
وتصف مجلة التايم الأمريكية في أحد أعدادها الصادرة في يوليو ١٩٩٨ المنظر التالي:

"لم يكن قائد القوات اليوجوسلافية [الجنرال جلاديمير زيفانوفيتس]، القابع بمكتبه الفخم ببلجراد، يتوقع أن يقوم بتلك المناقشة مع عشرات من السيدات آلاتي أحطن بمكتبه، غاضبات. صاحت إحداهن:

"فاشيست. أعيدوا لنا أولادنا من جبهة القتال. نحن لا نريد هذه الحرب".

وتحدث الجنرال- الصربي- بفخر عن "أولادنا"الذين أرسلهم الجيش لمحاربة "الإرهابيين الألبان" في كوسوفو. فصاحت ثانية دون أن يتوقع الجنرال:

"من غير ميلو سيفيتش [رئيس يوجوسلافيا] هو المسئول عن هذا؟ إنه سيدمرنا جميعاً. هل تعتقدون أننا أغبياء لا نعرف ما يحدث؟ نريد أن يعود "أولادنا" من كوسوفو سالمين".

وبكت ثالثة وهي تقول:

"قلتم لنا أن "الخدمة الإجبارية" في الجيش لا تزيد عن عام واحد فقط.لكن هاهو ابني ينقل إلى كوسوقو قبل أن ينهي

خدمته العسكرية بشهري وبعد تدريب لا يزيد عن شهر واحد".

وقالت رابعة:

"لا يرسل لنا "أولادنا" أية خطابات من كوسوفو منذ ذهبوا إلى هناك. كذلك لا نعرف أين هم بالضبط".

وزاد من غضب النسوة، أن المارة كانوا ينظرون إلى مايحدث، ثم يسيرون في طريقهم، وكأنما الأمر لايعنيهم، فلا يبدون أي شكل من أشكال التأييد أو المؤازرة، رغم أن المرور كان قد توقف.

لقد حدث تغير في المجتمع اليوجوسلافي. والمنظر الذي نقلته لنا مجلة "تايم" الأمريكية مؤشر على هذا التغير. ومما يزيد غضب هؤلاء النسوة، أن الصرب الذين يملكون النفوذ أو المال، يسرعون بإرسال أبنائهم إلى الخارج، بينما يقتل أبنائهن في كوسوفو. ولاحظ المراسلون أن طوابير طالبي تأشيرات الخروج من القنصليات الغربية قد طالت. وأدى هذا إلى ارتفاع سعر العملات الصعبة في السوق السوداء، وانخفاض قيمة الدينار اليوجوسلافي. وأدي هذا بدوره إلى زيادة ندرة المواد الغذائية، وأساساً السكر وزيت الطعام، والبنزين.

وشعوب أوروبا تستمتع بقضاء إجازة الصيف على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وعلى الساحل الأدرياتيكي، يستمتعون بالشمس الساطعة

والهواء النقي والمياه اللازوردية. وعلى بعد لا يزيد عن ثلاثمائة كيلومتر، في قلب قاراتهم الأوربية، تقوم القوات الصربية بعملية "تمشيط عرقي" بوحشية وقسوة ضد ألبان كوسوفو، ففر مئات الألاف تحت القصف الوحشي بالمدفعية الصربية الثقيلة، دون طعام ولا ماء. وأنتهز الرئيس اليوجوسلافي إجازة الصيف الأوربية، فارتكبت قواته في الأسبوعين الأخيرين من يولية والأسبوع الأول من أغسطس، وارتكبت أفظع المذابح في حرب كوسوفو. ولا يتوقف الرئيس اليوجوسلافي عن إطلاق أكاذيبه للتغطية على ما يحدث في كوسوفو، وما ترتكبه قواته هناك. وهو يكرر نفس الأكاذيب التي كان يطلقها أيام "حرب البوسنة".

وتصدعنا الحكومات الغربية بالحديث عن "إيقاف القتال بين الجانبين" و"الذهاب إلى مائدة المفاوضات" وتساوي في هذا بين "الصرب المعتدين المحتلين" و"ألبان كوسوفو الذين يدافعون عن حرية بلادهم واستقلالها". والغرب، بهذه التصريحات، إنما يشجع الرئيس اليوجوسلافي [الصربي] سلوبودان ميلو سيفيتش، سياسياً وعسكرياً. وهم يعطون له "الضوء الأخضر" بأن يفعل ما يريد، ويرتكب جرائمه.

◆ ◆ ◆

واستمرت حكومات الغرب تختلف حول أهداف الضربة الموجهة إلى صربيا، وتكتيكها، واستمرت القوات الصربية، في نفس الوقت، تمارس حملاتها في كوسوفو. وتأجل لأسبوع اجتماع "مجموعة الاتصال" الست كان

مزمعاً عقده في أول يوليو١٩٩٨. وذكر خبراء "الناتو" أنه في الأسبوع الأول من يوليو، كان"جيش تحرير كوسوفو" يسيطر على ثلث أراضي "الإقليم"، هذا رغم أن القوات الصربية كانت تسيطر على المدن الرئيسية. وفي الوقت نفسه نزل "الجيش اليوجوسلافي" إلى المعركة، وسلحت بلجراد صرب كوسوفو! وكانت قوات الأمن الخاصة الصربية التابعة لوزارة الداخلية، هي القوة الضاربة الرئيسية. وتمتلك هذه القوات الدبابات وطائرات الهليكوبتر العسكرية.

واستخدمت بلجراد "ميليشيات المتطوعين الصرب" من المجرمين أساساً ومن القوميين المتطرفين، وأطلق عليهم اسم "حرس الدفاع الصربي"SOS" وتضم هذه "الفرقة الإجرامية الخاصة" هؤلاء الذين قاتلوا في كرواتيا وفي البوسنة أساساً وارتكبوا المذابح المعروفة التي لعبت دوراً هائلاً في "التمشيط العرقي". وهم يرتدون الأقنعة على وجوههم فلا تظهر منها غير عيونهم، ويحملون الكلاشينكوف على أكتافهم . ووظيفة هؤلاء الأساسية هي حماية صرب كوسوفو الذين يقدر عددهم بحوالي ١٥٠ ألفاً. ومن الأسهل أن تقوم هذه "الفرقة"SOS بعملياتها ضد مقاتلي "جيش التحرير" الذين على سبيل المثال- أمسكوا أربعين رهينة صربية بمدينة كيبفو الكوسوفية.

عند هذه المرحلة اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية قرارها بالاتصال بمنظمة "جيش تحرير كوسوفو" الذي كان يطلق عليه حتى آنذاك المنظمة الإرهابية". وأغضب هذا القرار كثيراً من الحلفاء الأوربيين، وخاصة

بمقر رئاسة "الناتو"، حيث كانوا "يطبخون" اللعبة السياسية في البلقان، وكذا خطط التدخل العسكري وأهدافه وتكتيكاته، هل يطلب من الصرب وقف إطلاق النار، أم يطلب من الجميع، أم يطلب سحب جميع القوات الصربية، وهو طلب "مجموعة الاتصال" أصلاً؟ لكن حتى الحكومة التركية استنكرت أي اتفاق مع "جيش تحرير كوسوفو" فهذا معناه أنه يمكن التوصل إلى اتفاق مع أي مجموعة انفصالية، مما يمثل خطورة على تركيا التي تحارب الأكراد في الجنوب حرباً ضارية.

◆ ◆ ◆

ويزداد عدد المقاتلين من ألبان كوسوفو الذين ينضمون إلى "جيش تحرير كوسوفو" كلما ازدادت العمليات التي تقوم بها القوات الصربية. ووصف مراسل الجارديان البريطانية اليومية ما يحدث في العدد الصادر يوم ١٣ يونيو ١٩٩٨، بتحقيق من قرية تربوي داخل الحدود الألبانية: وعدد سكانها الأصليين لا يزيد عن ١٥٠٠ ألباني، يعتمدون في معيشتهم على ما يقبضونه شهرياً من ضمان اجتماعي. واحترق عدد من منازلهم أثناء الفوضى التي اجتاحت ألبانيا كلها عام ١٩٩٧. وفي الأشهر التي حدثت فيها الهجمات الصربية، كانت تلك القرية الصغيرة أحد الأماكن التي قصدها اللاجئونمن ألبان كوسوفو. وقد آوت الأن أكثر من عشرين ألفاً منهم، بعد رحلة عبر مناطق جبلية وعرة، ويطلق قناصة الجيش اليوجوسلافي عليهم الرصاص، وتهاجمهم طائرات الهليكوبتر العسكرية الصربية. وإذا كان هناك رجل قادر يصل بعائلته إلى القرية، فإنه يتركها بعد أن يضمن

سلامتها، ويشتري كلاشينكوف، ويعود لينضم إلى "جيش التحرير" ليحارب الصرب، التي بدأت هجومها على الصرب، في شهر نوفمبر ١٩٩٧ فقط. وليس معنى هذا أن كل مقاتلي "جيش التحرير" من هؤلاء، لكنه يضم مقاتلين أشداء، شاركوا في القتال ضد الصرب في البوسنة.

◆ ◆ ◆

اتسعت رقعة الأرض التي حررها "جيش تحرير كوسوفو"، وأعلن بعدها أنه سينزل من الجبال، ليستولي علي عاصمة كوسوفو: بريشتينا. لكن نجحت القوات الصربية، في إجلاء "جيش التحرير" عن مدنية دبكين الحدودية، في أوائل يونيو ١٩٩٨ .

ولما أشتد القتال، أخذ المجندون من شباب صربيا والجبل الأسود، يتركون الجيش بأعداد كبيرة وهذا ما جعل بلجراد تعتمد أكثر فأكثر على "المتطوعين"، كما فعلت من قبل في كرواتيا والبوسنة.

لكن علينا ألا نبالغ في تقييم النجاحات التي أحرزها "جيش تحرير كوسوفو". فما زالت قوات البوليس الخاصة والجيش اليوجوسلافي، أقوي بطبيعة الحال من "جيش تحرير كوسوفو"، وإن كانت لا تستخدمها ضد "جيش التحرير"، حتى لا تسبب خسائر فادحة واضحة بين المدنيين الألبان، فتستفزهم، وتستفز مشاعر العالم، خاصة وأن هذا سيتسبب في تدفق مزيد من اللاجئين من ألبان كوسوفو الذين يتوجهون إلي مقدونيا بالذات.

وعندما اجتمعت دول مجموعة الاتصال الست ببون في السابع من يوليو ١٩٩٨، كانت روسيا مازالت تعارض أي تدخل من جانب "الناتو" إلا بعد موافقة "مجلس الأمن". وقدمت خطة للسلام في كوسوفو، تقترح منح كوسوفو، حكماً ذاتياً واسعاً، وتستبعد استقلال "الإقليم" عن جمهورية صربيا تماماً.

وتقترح الخطة المقدمة "للحكم الذاتي"، أن يتولوا شئون البوليس بأنفسهم [أي يكون البوليس من ألبان كوسوفو]، كما كان الحال قبل إلغاء الحكم الذاتي عام ١٩٨٩. ولايمكن أن يغير أي طرف وضعية كوسوفو إلا برضا الطرفين. كما يراقب أجانب حقوق كل سكان كوسوفو، من صرب وألبان.

وفوضت "مجموعة الاتصال" المكونة من الدول الست المبعوث الأمريكي الخاص للرئيس الأمريكي، ريتشارد هولبروك، لمناقشة هذه الخطة مع الرئيس اليوجوسلافي سلوبودان ميلو سيفيتش، يساعده السفير الأمريكي بمقدونيا كريس هيل، لكن الطرف الذي يمثل ألبان كوسوفو في التفاوض، وهو رئيس جمهورية كوسوفو الموازية غير الرسمية : إبراهيم روجوفا لا تعترف به منظمة "جيش تحرير كوسوفو" التي تحمل السلاح. فرغم أنه اختير مرتين، إلا أنه يرفض الكفاح المسلح. لذلك "فجيش تحرير كوسوفو" الذي يحارب ويحمل

السلاح هو الذي من حقه التفاوض علي الخطة المقترحة، وهو يطعن في شرعية الرئيس إبراهيم روجوفا الذي يقول أنه لم يعد يمثل إجماع ألبان كوسوفو، كما كان الحال من قبل. فحزبه "رابطة كوسوفو الديموقراطية" ينهار، مع انشقاق قادته المحليين إلي جيش تحرير كوسوفو"، الذي كان إبراهيم روجوفا يرفض الاعتراف بوجوده.

وأدعى حزبان لألبان كوسوفو، أنهما الجناح السياسي "لجيش تحرير كوسوفو" :

<u>الأول</u> هو "الحزب البرلماني لكوسوفو" ويتزعمه آدم ديماكي الذي قضى في السجن ثمانية وعشرون عاماً متتالية،

<u>والثاني</u> هو "الحركة الألبانية الديموقراطية لكوسوفو". لكن "جيش تحرير كوسوفو" رفض ادعاءاتهما. وهما ينافسان"رابطة كوسوفو الديموقراطية".

وهذا هو السبب في رغبة الإدارة الأمريكية في التفاوض بشكل مباشر مع "جيش تحرير كوسوفو"، على أمل أن ينجح في التفاوض على وقف إطلاق النار. وهذا هو السبب في ذهاب المبعوث الأمريكي إلى البلقان روبرت جيلبارد إلي جنيف في الأسبوع الثاني من يوليو عام ١٩٩٨، لمقابلة المتحدث في الشئون الخارجية "لجيش تحرير كوسوفو" باربول محمودي الذي كان قد أعلن قبلها بأسبوع عن تأسيس حركة

سياسية جديدة لألبان كوسوفو هي : "الحركة الوطنيـة الكوسوفية"، معلناً أنها الجناح السياسي "لجيش تحرير كوسوفو"، وهي تكـافح مـن أجل الاستقلال. وكان أول تصريـح لـه في جنيـف هـو "أن وقـف إطـلاق النار في كوسوفو ممكن، لو سحب الرئيس ميلو سيفتيش كل قواتـه مـن الإقليم".

وبدأت أكـبر هجمـة للقـوات الصربيـة علـي"جيـش تحريـر كوسـوفو" في منتصـف شـهر يوليـو ١٩٩٨، بعـد تصريـح لمسـئولين في البنتـاجون بأنـه "لـن يـأتي فرسـان لمسـاندة المقـاتلين الكوسـوفيين الانفصاليين". كانت هذه أقـوى هجمـة دمويـة للقـوات الصربيـة، منـذ بدأت عملياتها العسكرية في شهر فـبراير ١٩٩٨، ضـد شـعب كوسـوفو الألباني. انفجر القتال في مدينة أوراهو فاتش جنوب- غربـي العاصمـة بريشتنيا بستين كيلو متراً، ويصـل عـدد سكانها إلي ٢٥ آلـف نسـمة، كان عليهـم أن يهربـوا جميعـاً، إلي مدينـة ماليسـيفو المجـاورة، الـتي تمتلئ باللاجئين بالفعل. وحاول عدة مئات من مقـاتلي"جيـش تحريـر كوسوفو" السيطرة علـي مدينـة أوراهـو فـاتش وطـرد القـوات الصربيـة المعسكرة فيها. ويـوم ٢١ يوليـو، قـال الصـرب أنهـم اسـتطاعوا "إعـادة السيطرة علي المدينة بعد أن أوقعوا الهزيمة بالانفصاليين". واستخدمت القوات الصربية لتحقيق ذلـك المدفعيـة الثقيلـة. وقتـل في هـذه المعركـة

عشرة جنود صرب، ومائة ألباني، معظمهم من الشيوخ الذين لم يستطيعوا الهرب من المدفعية الثقيلة في الوقت المناسب.

لقد شجعت تصريحات البنتاجون الصرب على ارتكاب المزيد من المذابح الدموية.

وامتدت جبهة القتال حتى مدينة درنيتشا، فأحرقت القرى والمدن والحقول والمنازل والمحال، وزاد تدفق اللاجئين الألبان بزيادة شراسة الهجوم الصربي. وقال حفارو القبور للمراسلين الأجانب، الذين ذهبوا لتغطية الأخبار، إلي مدينة أوراهو فاتش الذي أنفجر بها القتال لعدة أيام ابتداء من ١٧ يوليو، أنهم دفنوا مئات لا تحصى من المدنيين. ونفى المسئولون في بلجراد أن القوات الصربية قد ارتكبت آية مذابح. ووعدت الحكومات الغربية بتقصي الحقائق الواضحة، لأنها كانت تغطي منذ البداية، أو تخفف من المذابح الصربية. وأعلن زعيم الأقلية الشيعية الألبانية، أن القوات الصربية. قتلت مائتين من أتباعه، بعد ان احتموا بجامع مدينة أوراهو فاتش، وقتلوا معهم شيخهم الديني رغم ملابسه الواضحة وسنه الكبير. وذكرت وكالة غوث اللاجئتين التابعة للأمم المتحدة، أنه رغم صعوبة التعداد، فالمرجح أن هناك الآن – الأسبوع الأخير من شهر يوليو ١٩٩٨– ما يربو على مائتي لاجئ ألباني كوسوفي أي ١٠٪ من سكان "الإقليم".

ويريد الحلفاء الغربيون الوصول إلي "تسوية سلمية" للمشكلة، لكن القضية الأساسية أن الحياد هنا مستحيل، بين القاتل (الصربي) والضحية (الألبانية الكوسوفية). وهكذا بدأ الحلفاء الغربيون عن استخدام القوة ضد القيادة الصربية المتعنتة. وصرحت وزارة الخارجية الأمريكية في الثالث من أغسطس ١٩٩٨، بأن "الناتو" وضع مجموعة خطط للتدخل ضد القوات الصربية في كوسوفو " لتوقف المذابح ضد الألبان، بعد أن أخذت رائحتها تزكم الأنوف، بما تذيعه وسائل الإعلام يومياً. وأصدر المبعوث الأمريكي- للأمم المتحدة الآن- ريتشارد هولبروك بياناً حذر فيه"الحكومة اليوجوسلافية من أن أفعالها- الأخيرة- تزيد من فرص تدخل الناتو". والرسالة للرئيس اليوجوسلافي من وزارة الخارجية الأمريكية أن "مشغولية الرئيس الأمريكي بالشئون الداخلية- وعلي رأسها اتهامه من الكونجرس بعد فضيحة مونيكا لوينسكي- لن تسكته علي اتخاذ قرار بخصوص "قضية كوسوفو". وحجة الدراسة المتأنية ووضع الخطط ليست واردة هنا، فقد قتلت هذه المسألة بحثاً في دوائر رئاسة الحلف منذ بدأت الأزمة الكوسوفية في شهر فبراير ١٩٩٨. لقد كان معنى هذا السكوت والتردد أن الغرب يعطي ضوءاً أخضراً "لقوات الرئيس سلوبودان ميلوسيفيتش كي ترتكب مذابحها ضد ألبان كوسوفو. تماماً كما فعلت من قبل في البوسنة. وإلا فما معنى أن تقوم الحكومتان السويسرية والألمانية بتجميد حسابات المتحدثين باسم "جيش تحرير كوسوفو" والتي تضعها الدياسيورا الآلبانية في الخارج، وتقول المصادر الاقتصادية أنها

تصل في مجموعها إلي عدة ملايين من الدولارات. إن هـذا الإجـراء ليـس له سوى تفسير واحد هو أن الغرب لا يريد إعـلان "اسـتقلال كوسـوفو" وإنما يريدها أن تستمر إقليماً تابعـاً لجمهوريـة صربيـا، بدعـوى عـدم إثارة جمهورية ألبانيا، وألبان مقدونيا. وهنا يوقع الغرب نفســه، عـن عمد، في مشكلة قانونيـة: ففـي البوسـنة كـان الغـرب يسـاعد المسلمين "كضحايا حرب" من ناحية الصرب، في دولة مستقلة" أمـا في كوسوفو، فالغرب "مقيد بأن ألبان كوسوفو هم ضحايـا في إقليـم تـابع لجمهوريـة صربيا"! إنه تلاعب بالألفاظ.

لذا يلعن الغرب دائمـا أنـه لابـد مـن الالتفـاف حـول زعامـة سياسة كوسوفية، "تناضل" في هذا الاتجاه، لكـن إذا إسـتمر التنـاحر، فلن يوجه "الناتو" أية ضربات جويـة. لكـن الـذي يحـدث هـو العكـس تماماً، فكلما ازداد القمع الصربي والضغط الغربـي وخاصـة الأمريكـي، كلما إزداد تمسك ألبان كوسوفو بالاسـتقلال. وإذا ازدادت الضغـوط فلـن يؤدي هذا إلا إلي الانفجار وأعمـال "الإرهـاب". وفي الأسبوع الأول مـن أغسطس ١٩٩٨، ألقيت قنبلة على السفارة اليوجوسلافية ببروكسيل.

والمذابح الصربيـة مستمرة ضـد الألبـان بمـدن وسـط كوسـوفو وغربها، الهدف الأساسي "التمشيط العرقي" وتصفيـة "جيـش تحريـر كوسوفو".

• • •

وتعقبت القوات الصربية، مقاتلي "جيش تحرير كوسوفو"، تحرق القرى والمدن والحقول، وبعد أن كان المقاتلون من أجل حرية كوسوفو يسيطرون علي رقعة كبيرة بغرب ووسط كوسوفو، أخذوا يتراجعون تدريجياً إلى الجبال، ويتراجعون ببطء حتى بتحرك اللاجئون قبل أن تحرق منازلهم ومدنهم وقراهم. وأنضم المقاتلون في بعض الأحيان إلى أنهار اللاجئين التي كانت تنزح إلى الجنوب، وخاصة نحو مدينتي ميروفيتشا وفوشيترن، ولجأ مقاتلون آخرون إلي السرية، في العاصمة بريستينا نفسها، والذين وصلوا ليقاتلوا من دول أوربا الغربية، عادوا عبر الجبال إلي وظائفهم في أوربا.

وراحت "تحذيرات" الغرب لميلو سيفيتش، كلها هباءً : بل أخذت قواته تطارد المقاتلين بحرق القرى، علي جانبي طريق يسير موازياً للحدود الكوسوفية- الآلبانية، ويربط بين بريزرين وبيتش. لكن القوات الصربية واجهت مقاومة عنيفة من جانب المقاتلين الذين يعرفون جيداً المسالك الجبلية في هذه المنطقة، لذلك فهم الذين يسيطرون ليلاً على المنطقة رغم تراجعهم، ويقتلون من القوات الصربية ما يستطيعون.

وتقوم القوات الصربية بموجة اعتقالات واسعة بين ألبان كوسوفو، تضم المدنيين الذين أرسلوا طعاماً لأهل القرى المنكوبة، والأطباء الذين عالجوا الجرحى، وصحفيين ومحامين.

ورغم كل هذا، فـالغرب مصمـم علـي أن تظـل كوسـوفو إقليمـاً تابعاً لصربيا، ويضربون مثلا بشيشينيا وتناريستان اللتان بحكم ذاتـي في إطار الاتحاد الفيـدرالي الروسـي، والمتحدثـون بالألمانيـة في إيطاليـا، والأقلية السويدية في فنلندة.

[٦] الغرب ضد استقلال كوسوفو

الغرب ضد استقلال كوسوفو

[١] الغرب وكوسوفو

أحيا الكفاح المسلح لجيش التحرير الأمل عند ألبان كوسوفو، إذ كانوا يتبعون "العصيان المدني" بقيادة "حزب الرابطة الديموقراطية لكوسوفو" بزعامة إبراهيم روجوفا. وكانت قيادة الرابطة تؤمن بأن أسلوب كفاحها هذا سيؤمن لكوسوفو الاستقلال عن صربيا، بضمان الغرب. أدرك الألبان أن الصرب لن يقدموا لهم الاستقلال وإنما عليهم انتزاعه كما انتزعته البوسنة وكرواتيا من الصرب. فالغرب لا يعترف بكوسوفو إلا كإقليم في "جمهورية صربيا" التي هي جزء من الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي الذي لم يتبق فيه مع صربيا، إلا جمهورية الجبل الأسود. ويطلق الغرب علي مقاتلي "جيش تحرير كوسوفو" اسم "الإرهابيين".

وقبل أن يحتل كفاح ألبان كوسوفو، الصفحات الأولى لصحف العالم، لم تكن "قضية كوسوفو" يناقشها سوى خبراء شئون البلقان، الذين كانوا يرددون نفس ما في كتب الجغرافيا. وعندما اتسع نطاق الكفاح المسلح دخل الجيش اليوجوسلافي وقوات الأمن الصربية، التابعة لوزارة الداخلية، أراضي كوسوفو، وقامت بعمليات "تمشيط عرقي" ضد

الألبان. وبدأت حكومات الغرب تقطع "حائط السكوت" عندما أصبحت المسالة مفضوحة. ناقش رئيس الوزراء البريطاني العمالي توني بلير الأمر، مع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ، والرئيس الروسي بوريس بيلتسين. وأعاد الغرب فرض العقوبات الاقتصادية على بلجراد، وأخذ يمهد لتدخل "الناتو" عسكرياً، وقامت طائراته المقاتلة بالفعل باستعراض عضلات علي الحدود الصربية- الألبانية .

ونبه الزعيم الكوسوفي إبراهيم روجوفا، الغرب، إلي خطورة ترك "قضية كوسوفو" دون حل، خاصة وأنه يؤمن أن "الكفاح المسلح" ليس هو الطريق إلى الاستقلال. وكان يقول أن"الحصول علي الاستقلال سلمياً مهما طالت مدة الكفاح، أفضل من الكفاح المسلح الذي يؤدي آلاف الأرواح".

وكانت تجربة البوسنة- والهرسك ماثلة للعيان: إذ قاتل المسلمون الصرب، بلا موارد، فكانت النتيجة ما أرتكبه الصرب من مذابح وفظائع.

لكن الغرب تجاهل مطالب كوسوفو، وبعد اتفاقيات "ديتون للسلام في البوسنة"، لم يكن أن يستمر روجوفا بنفس الزخم. فحتى صرب البوسنة الذين ارتكبوا أبشع جرائم القرن العشرين، ضمنوا مكاناً على مائدة المفاوضات في ديتون، وحصلوا على مغانم حربهم ضد

المسلمين في مساحة من الأراضي أقاموا عليها جمهوريتهم التي أطلقوا عليها "ريبابليكا سربيك" التي تصل إلى نصف مساحة أراضي البوسنة. أما ألبان كوسوفو، فلم يجلسوا حتى على مائدة المفاوضات، ولم يقدم لهم الفتات.

ويعني الاستقلال التام لـ"إقليم كوسوفو" من وجهة نظر الصرب، "الانفصال" ثم "الانضمام" إلى ألبانيا التي "تخطط في رأيها لتشكيل ألبانيا الكبرى". وفي رأيهم أن هذا لن يكون أكثر من عملية ضم، كتلك العملية التي ضمت بها ألمانيا النازية، النمسا، قبل أن تبدأ الحرب العالمية الثانية، تلك العملية التي يطلق عليها اسم "إنشيلوس".

وحكومات الغرب لا توافق على استقلال كوسوفو، على أساس أن هناك اتفاقيات دولية عام ١٩١٢، تعتبرها "إقليماً" من جمهورية صربيا، وبعد صدور دستور عام ١٩٧٤، في حياة الزعيم اليوجوسلافي جوزيف بروز تيتو، منحت "الحكم الذاتي" الذي ألغاه الرئيس الصربي- آنذاك- ميلو سيفيتش عام ١٩٨٩، وهو يستعد لخوض الحرب اليوجوسلافية، التي خسرها كلها، واستقلت كرواتيا، وسلوفينيا، والبوسنة- والهرسك، ومقدونيا.

ومن رأى بعض الحكومات الغربية أن "الحكم الذاتي" هو أفضل حل لكوسوفو، وينادي بعض المراقبين الغربيين بمنحها وضعية

الجبل الأسود في الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، فتصبح الجمهورية الثالثة في الاتحاد. مع عدم منحها حق الانفصال عن الاتحاد الفيدرالي.

ويؤيد هذه الفكرة رئيس الوزراء الألباني السابق وزعيم الحزب الاشتراكي فاتوس نانو، والزعيم السياسي التيتوي السابق [من ألبان كوسوفو] محمد باكاللي، الذي يقدم هذا الاقتراح علناً. وكان إبراهيم روجوفا قد ضمه إلى وفد المفاوضات الرسمي في أبريل ١٩٩٨، الذي ذهب إلى العاصمة الصربية بلجراد، ليتفاوض حول وضع كوسوفو مع الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش.

كان أول هجوم قام به "جيش تحرير كوسوفو" وأعلن عنه الصرب، في شهر ديسمبر عام ١٩٩٧. ولم يتحرك الغرب تحركاً نشطاً لحل القضية إلا بعد ما يقرب من سبعة أشهر، ولم يزد ما اتخذ عن قرار اجتماع وزراء خارجية "الاتحاد الأوروبي" بلوكسمبرج بـ"فرض العقوبات" على الاستثمار في "المستقبل". وأوكل إلى "مجموعة الاتصال" مناقشة القضية: وهذه الدول هي: الولايات المتحدة الأمريكية، وروسيا، بالإضافة إلى الدول الأربع الأوربية الكبرى: بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا. وهذا التلكؤ متعمد، وهو أضاع البوسنة من قبل. ولا تريد صربيا سحب قواتها من كوسوفو، بحجة أن مقاتلي "جيش التحرير" يتلقون أسلحة من ألبانيا. وحتى الأسبوع الأخير من

يونية عام ١٩٩٨، كانت القوات الصربية قد ارتكبت مذابح فظيعة ضد ألبان كوسوفو، أما الرئيس ميلو سيفيتش، فلا يواجه من الغرب، بعد أن زكمت رائحة تلك المذابح أنوف العالم، سوي "التهديد" بعمل عسكري من "الناتو".

ونشر "مجلس الدفاع عن حقوق الإنسان والحريات" بكوسوفو البوماً مصوراً عنوانه "فراجييت"- آي- القتل بالألبانية- والألبوم به لأجساد رجال قتلهم الرصاص، أو ذبحوا بالسكاكين، والبعض تحطمت جماجمهم. ظهر على وجوه أحد الرجال ألم فظيع، وقد جحظت عيناه من الهلع، ورقبته مقطوعة بسكين.

والألبوم لا تزيد عن ٤٨ صفحة والصور بالألوان، لكنها سجل ناطق بجرائم الصرب ضد ألبان كوسوفو الذين ارتكبوا جريمة المطالبة باستقلال بلدهم. وتلك صور المدنيين الألبان العزل من السلاح الذين قتلتهم القوات الصربية، بعد التعذيب.

والرئيس الصربي يجيد التمثيل، وإلقاء الكلام المعسول. وقد جرب هذا من قبل في البوسنة ونجح. فالروس السلاف الأرثوذكس مثل الصرب، يؤيدون الرئيس ميلو سيفيتش. وعندما تعقدت الأمور ذهب الرئيس اليوجوسلافي إلى موسكو، وقابل الرئيس الروسي بوريس بيلتسين، وتناقشا حول الوضع في كوسوفو، ولما عاد إلى بلجراد "بدت"

عليه "علامات التعقل والاعتدال". وكانت الثقة الزائدة تبدو على الرئيس بوريس بيلتسين عندما قال أنه "يستطيع حل الأزمة". وبعد المناقشات التي أجراها مع الرئيس اليوجوسلافي صرح بقولة: "أن الشيء الإيجابي هو أن الرئيس اليوجوسلافي وافق على أن يعود إلى مائدة المفاوضات مع ألبان كوسوفو، كذلك وعد بأن يوقف العمليات القمعية ضد المدنين، وأن يسمح بعودة اللاجئين".

ولم تنفذ كلمة واحدة من كل هذا. بل أن أبشع المذابح أرتكبها الصرب بعدها. وعندما صدق بعض اللاجئين الألبان ما يقال، قبضت عليهم القوات الصربية، وأودعوا معسكرات الإعتقال، ولم يعودوا، ونشرت صور بعضهم في ذلك الألبوم. وكان هذا درساً قاسياً لكل من يصدق ما يقوله الرئيس اليوجوسلافي- الصربي، من الألبان. فالهدف هو "التمشيط العرقي"! الذي استمر مع عمليات القمع والقتل الوحشية والمذابح التي ترتكبها "القوات الصربية الخاصة". لذلك فليس هناك معنى لتصريح وزير الخارجية الروسي يفجيني بريماكوف- الذي أصبح رئيساً للوزراء فيما بعد- محادثات الرئيسين بأن "الكرة تعود الآن إلى ملعب ألبان كوسوفو. إنه تعليق خائب. فحتى إبراهيم روجوفا، ليس له أية سلطة على قيادة "جيش تحرير كوسوفو"، بل أنه يبعد نفسه عنها، حتى لا تكون هناك شبهة علاقة له بها!

وحتى ندرك طبيعة "الحرب" التي كانت دائرة في "كوسوفو"، فلا يخدعنا أن الذي يقود الكفاح المسلح يسمى "جيش تحرير كوسوفو" فسلاحه ككل حركات التحرر الوطني، ليس أكثر من الكلاشينكوف، يقف في مواجهة الجيش اليوجوسلافي، الذي يمتلك أحدث الأسلحة، وكذا "قوات الأمن الصربية" التابعة لوزارة الداخلية، وهي أيضاً تمتلك الدبابات الحديثة الروسية الصنع، وطائرات الهليكوبتر المقاتلة. وتبالغ الصرب في عدد المقاتلين الألبان. وقد نصدق هذه المبالغة بسبب الحرب الضروس التي يخوضها الصرب، والقسوة البالغة التي يعاملون بها الألبان المدنين. وقد أعلنت صربيا أنها تقدر عدد المقاتلين بخمسين ألفاً. وهذا رقم مبالغ فيه. لكن الذي يحدث أن الألبان يتركون "رابطة كوسوفو الديمقراطية"، وينضمون إلى "جيش تحرير كوسوفو" التي أصبح لها بذلك جناحاً سياسياً. فأعلن جاكوب كراسنيكي أنه المتحدث الرسمي باسم "الجيش"، وذكر قبل محادثات موسكو بين الرئيس اليوجوسلافي والرئيس الروسي، أنه "ينبغي" على كل القوات الصربية أن تنسحب من كوسوفو. وأن يقف إبراهيم روجوفا إلى جانب جيش التحرير أو يتنحى عن العمل السياسي". وكان جاكوب كراسنيكي قبل ذلك، قائد أحد أفرع رابطة كوسوفو الديمقراطية".

◆ ◆ ◆

[٢] حدود التدخل

بدأ الناتو يتحرك عندما أثـار "التمشيط العرقـي" لألبـان كوسـوفو على يد القوات الصربية،الرأي العام الغربي. لكن قبل أن يبـدأ تحركـه صـرح السكرتير العام "للناتو" جافييه سولانا بقوله:

"الناتو لا يؤيد استقلال كوسوفو، ويجـب التدخـل لفرض حل سياسي يضـع حـداً لحمـام الـدم في ذلـك "الإقليـم الصربي" وانه ينبغي أن يسعى روجوفا لاستعادة المفاوضـات التي انقطعت مع الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش".

بدأ التحرك الغربـي إذن مـع المكاسـب السياسـية والعسـكرية التي حققها "جيش تحرير كوسوفو" وخوفاً من انحسـار تـأييد الألبـان لروجوفا وحزبـه. آنـذاك– وكـان ذلـك في شـهر يونيـو ١٩٩٨– أعلنـت مصادر المخابرات الغربية أن "جيـش التحريـر" يسـيطر علـى ٣٠٪ مـن أراضي كوسوفو، وأنه يوسع من المساحة التي يسيطر عليها. وقد إستولى على هذه الأراضي في الستة أشهر الأولى من عام ١٩٩٨.

كانت روسيا ضد أي تدخل من "الناتو" ضد صربيا و... وعندمـا كـان وزيـر خارجيتهـا يفجيـتي بريمكـوف يلتقـي ... الخارجية البريطاني روبـن كـوك في الأسبوع الثـاني مـن يونيـو ١٩٩٨ صرح بقوله:

"إننا على ثقة من أنه يمكن التوصل إلى حل. قبل أن يستخدم "الناتو" القوة ضد صربيا".

لكن، عندما قامت ٨٥ مقاتلة من ١٣ دولة من دول "الناتو" باستعراض عضلات على الحدود الألبانية- الصربية، تلقى الرئيس اليوجوسلافي إشارتين:

الأولى: أنه يجب أن توقف قواته عمليات التمشيط العرقي التي تقوم بها ضد ألبان كوسوفو، وأن تسحب هذه القوات إلى صربيا،

والثانية: أن تدخل "الناتو" في كوسوفو، يكون سريعا وحاسماً، وليس على شاكلة تدخله المتأخر والمتردد في البوسنة. مما أتاح للقوات الصربية أن ترتكب مذابحها ضد مسلمي البوسنة.

ويقول الخبير العسكري البريطاني الكسندر نيكول في مجلة "ديفينس ويكلي العسكرية البريطانية الأسبوعية [٢٢ يونيو ١٩٩٨]:

"الناتو يقدم نموذجاً جديداً، أسرع في الاستجابة لدواعي الأمن الإقليمي، إذ تهددت. ويتطلب هذا النموذج سرعة الحركة والانتشار، إذا ما فشلت المفاوضات السياسية والدبلوماسية".

وكذا تحدث وزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين عن تدريبات "الصقر المصمم" على حدود كوسوفو فقال:

"أثبتت التدريبات التي جرت على حدود كوسوفو أن "الناتو" يزيد التوصل إلى وقف إطلاق النار في الإقليم... في الوقت الذي أكد فيه "الناتو" قدرته على سرعة تحرك أسلحته القتالية".

بعد التدريبات بيوم واحد، كان الرئيس اليوجوسلافي يجتمع مع الرئيس الروسي، الذي أعلن عن "اتخاذ الرئيس ميلوسيفيتش لبعض الإجراءات التي تنهي "العنف" في الإقليم.

كان الدرس الأساسي من تجربة البوسنة، أن "الناتو" يمكنه أن يستخدم القوة العسكرية، لفرض تسوية سياسية، تتمشى مع هيمنة الولايات المتحدة للعالم. فبعد ضربات جوية مترددة وجهها "الناتو" لأهداف صربية عام ١٩٩٥، ذهبوا صاغرين إلى ديتون للتفاوض، ووقعت أطراف البوسنة الثلاثة الاتفاق الذي تريده أمريكا ولا يريده أحدها.

وتحدث أحد خبراء "الناتو"- لم يذكر اسمه- لمراسل صحيفة الفايننشيال تايمز اليومية البريطانية [١٠ يونيو ١٩٩٨] حول استخدام "الناتو" للقوة في عصر "ما بعد الحرب الباردة" فقال:

"إذا كان الهدف هو استخدام القوة العسكرية، لتحقيق أهداف سياسية- دبلوماسية، فينبغي استخدام القوة العسكرية القصوى، بأسرع ما يمكن، حتى يتمنى الخصم لو لم تستخدم!"

ومعنى ذلك أن يوجه "الناتو" لصربيا، ضربات موجعة، واستخدام "الحرب الإلكترونية" لتعطيل مراكز نظم القيادة والتحكم للجيش اليوجوسلافي. والهدف هو إجبار الرئيس اليوجوسلافي على قبول ما يطرحه الغرب كحل لقضية كوسوفو، بتصاعد العمليات العسكرية شيئاً فشيئاً. لكن ينبغي أن يحل "الناتو" ثلاث مشاكل تقف في طريقه قبل التدخل العسكري في كوسوفو:

الأولى: لابد من إجماع أعضاء "الناتو" الستة عشر، وموافقتهم على التدخل، وهذه عملية صعبة.

والثانية: أن من رأي الحكومات الغربية "آن "الناتو" يتدخل في الشئون "الداخلية" لدولة مستقلة. فعلى "الناتو" أن يقوم بهذا دون تأييد كفاح الألبان المسلح من أجل الاستقلال. وعبر وزير الدفاع الأمريكي وليام كوهين عن تلك "المعادلة" بقوله: نحن لا نرسل آية إشارة بأننا نؤيد استقلال كوسوفو"

والثالثة: فعالية الخيارات العسكرية، بحيث لا تصيب المواقع العسكرية الصربية في مقتل، وهذا معناه، أنه ليس أمام "الناتو" إلا خيارات محدودة، وهذا ما يعلمه الرئيس ميلو سيفيتش تمام العلم.

[٣] الحل الأمريكي

منذ الأسبوع الأول من سبتمبر١٩٩٨، والرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتشى يصرح بأن"الحملة العسكرية على كوسوفو قد انتهت. لكن هذه الحملة استمرت ترتكب أبشع المذابح، بشهادة السناتور الأمريكي بوب دول الذي ذهب إلى هناك لفضح انتهاك"الصرب لحقوق الإنسان". وصرح بعدها أن "المسالة ليست انتهاك حقوق الإنسان، فإن ما يحدث كارثة إنسانية بكل المقاييس".

و أخذ الغرب يصعد من ضغوطه على الرئيس اليوجوسلافي. ففي الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٨، اتخذ"مجلس الأمن" قراراً يطالب الحكومة الصربية" بوقف إطلاق النار في كوسوفو، و انسحاب قوات الأمن الصربية و أن يسمح للصليب الأحمر الدولي و المنظمات الإنسانية الأخرى، بدخول كوسوفو على الفور". ويقوم"الناتو"في الوقت نفسه باستكمال تحضيراته ليوجه ضربات جوية لأنها "التمشيط العرقي" في كوسوفو.

وقال مساعد وزير الخارجية الأمريكي لشئون الديمقراطية وحقوق الإنسان:"ويبذل السفير الأمريكي ببلجراد كريستوفر هيل"جهوداً دولية مكثفة للتوصل إلى تسوية عادلة في كوسوفو، تعطي سكانها اكبر قدر ممكن من "الحكم الذاتي في إطار جمهورية صربيا".

وناقش الغرب فرض عقوبات على يوجوسلافيا بعدم "شراء صادراتها"لان هذا يتيح لصربيا تمويل عمليات القمع و العمليات

العسكرية على شعب كوسوفو. كذلك يضغط في اتجاه توسيع نشاط المحكمة الدولية بلاهاى، لمحاكمة مجرمي الحرب اليوجوسلاف. لذلك دفعت الولايات المتحدة الأمريكية دفعة مالية في هذا الاتجاه. وزادت من مساعداتها لجمهورية الجبل الأسود، العضو الثاني في الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، لأن حكومتها المنتخبة ديموقراطياً، لا تؤيد صربيا. وتضغط عليها الولايات المتحدة لتفتح حدودها للاجئين التي كانت قد أغلقتها في وجوههم.

وقال السناتور بوب دول في تقريره الذي قدمه بعد عودته: "أينما ذهبنا في المدن و القرى، وجدنا المنازل وقد دمرتها القنابل و الحرائق. بل إن بعضها كانت النيران مازالت مشتعلة به. لكنها كانت خاوية من سكانه، وليس بالقرى إلا الكلاب الضالة تعوي، ووحدات الجيش و البوليس الصربية الكثيفة التسليح. وقامت هذه القوات باعتقال مئات المدنيين، وفصلت الرجال و الشبان، عن النساء والأطفال.

إن الوضع خطير للغاية، وعلى "الجماعة الدولية" أن تتحرك و تتخذ قرارها بسرعة".

الغريب أن يقول هذا الكلام، هو مبعوث الدولة التي ينبغي أن تتخذ القرار.

و أتخذ "مجلس الأمن" قراره الذي يطالب الرئيس ميلوسيفيتش بتنفيذ أربعة مطالب:

<u>الأول:</u> وقف إطلاق النار في كوسوفو على الفور،

<u>والثاني:</u> انسحاب كل القوات الصربية من كوسوفو،

<u>والثالث:</u> السماح لمنظمات الإغاثة و المساعدات الدولية بدخول كوسوفو لإنقاذ أهلها قبل أن يحل فصل الشتاء القارص،

<u>و الرابع والأخير:</u> إجراء حوار مع ألبان كوسوفو حول وضعية "الإقليم".

ويقترح الحل الأمريكي أن تكون هناك "مجالس قومية" وهو يعني من الناحية العملية تقسيم كوسوفو إلى"كونتونات"، بينما كانت تتمتع بالحكم الذاتي الذي ألغاه الرئيس ميلوسيفيتش (الصربي آنذاك) عام ١٩٨٩. وكان ألبان كوسوفو قد اقترحوا من قبل ضمانات سياسية وثقافية للصرب الذين يعيشون وسطهم في حالة منحهم وضعية مستقلة بأي شكل.

وضمنت المقترحات الأمريكية في ورقة قدمها المبعوث الأمريكي الخاص إلى البلقان كريستوفر هيل،و السناتور جيمس أوبرين محامى وزارة الخارجية الأمريكية وقد لعبا دوراً هاماً في صياغة "اتفاقيات دييتون للسلام في البوسنة" قبل ذلك بثلاث سنوات. وكان السناتور جيمس أوبرين هو الذي وضع مسودة "كونفيدراليات المسلمين – و الكرواث"في البوسنة عام ١٩٩٤.

تجنبت المسودة الخاصة بكوسوفو، إطلاق أية مسميات كجمهورية أو إقليم أو منطقة تتمتع بالحكم الذاتي. بل قالت الورقة عن

زعيم ألبان كوسوفو إبراهيم روجوف انه "ممثل السكان" لكن المقترح الأمريكي الذي يشكل قلب الورقة يقضى بأن لكل طرف إبداء "حق الفيتو"، في الحكومة المركزية ببريستينا، أو في المجالس المحلية. ويكون لسكان كوسوفو مقاعد في البرلمان الصربي وفي البرلمان الفيدرالي – اليوجوسلافي. كذلك يعين من الألبان قضاة في "المحكمة العليا الصربية". بينما يظل البوليس الصربي في كوسوفو كما هو.

وبهذا... تقنن الورقة الأمريكية الاحتلال الصربي لكوسوفو.

وتلغى هذه الورقة الأمريكية، الاقتراح الذي كانت الحكومة البريطانية قد قدمته قبلها بشهرين، بعد مناقشات بين دول "مجموعة الاتصال". إذا اقترحت الحكومة البريطانية أن تمنح كوسوفو وضعية إحدى جمهوريات الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي، فيما عدا حقها في الانفصال. وبذلك تكون الجمهورية الثالثة في الاتحاد مع جمهورية صربيا، وجمهورية الجبل الأسود.

وبدأ المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك تحركاته في الخامس من أكتوبر ١٩٩٨، في دبلوماسية المكوك بين بلجراد و بروكسل و بريستينا، وسط قعقعة سلاح "الناتو" وأزيز طائراته المقاتلة و القاذفة.

وبعد أسبوع من المفاوضات السرية في بلجراد مع الرئيس اليوجسلافي ميلوسيفتيش، طار فيها عدة مرات إلى بروكسيل ليقابل سكرتير عام "الناتو" و إلى بريسينا، أعلن فجأة على العالم عن توصله إلى اتفاق، ثم

طار إلى واشنطن ليقدم تقريره النهائي .إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، ثم بعد ذلك إلى منزله بنيويورك.ليمارس عمله كنائب "كريديت سويس فيريست بوسطون"و إلى اجتماع مجلس إدارة جمعيته المفضلة لفعل الخير "ريفيوجي انترناسيونال" للاجئين. إنه نموذج لرجل الأعمال و السياسي الأمريكي الأن.

حقق ريتشارد هولبروك آخر إنتصار له قبل ذلك في البلقان أيضا. عام ١٩٩٥. لقد أصبح خبير البلقان الامريكى الذى يقوم بدبلوماسية المكوك فيصل إلى نتائج حاسمة، بينما هو يتحرك تحت قعقعة سلاح "الناتو" آنذاك، بعد أسبوعين فقط من توجيه ضربات جوية إلى أهداف صربية في البوسنة، دعا الأطراف البوسنية الثلاث : المسلمون، و الصرب، و الكروات، إلى دييتون للتوصل إلى اتفاق.

يوم ١٣ أكتوبر ١٩٩٨ توصل المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك إلى اتفاق مع الرئيس اليوجوسلافي حول كوسوفو.

[٧] دبلوماسية الضربات الجوية

[السياسة الأمريكية في حقبة ما بعد "الحرب الباردة"]

دبلوماسية الضربات الجوية

[السياسة الأمريكية في حقبة ما بعد "الحرب الباردة"]

الأسبوع الأول من أكتوبر ١٩٩٨.

للمرة الثالثة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، تقوم الحكومات الغربية بالهجوم على دولة تقف وحدها: كانت المرة الأولى على العراق،والثانية على صرب البوسنة. أما هذه المرة الثالثة فعلى الصرب أيضاً، لأن بلجراد ترفض السكوت على ارتكاب الفظائع في كوسوفو.

كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق في بلجراد، و"الناتو" لضربات جوية محتملة. فالصرب يعدون المدافع والصواريخ المضادة للطائرات، ويجمع البوليس الحربي الشبان الصرب من على المقاهي، ويعيد فتح المخابئ. أما الأهالي فيقومون على عجل بتخزين المواد الغذائية، وما يستطيعون شراءه..

ولم يرض قادة "الناتو" عما سحبه الرئيس ميلوسيفيتش من قواته من كوسوفو، لإرضاء حكومات الغرب، وبناء على طلب مجلس الأمن طبقاً لقراره الذي اتخذه في سبتمبر. وكان كل ما أوقف "الناتو" عن ضرب صربيا، هو الدبلوماسية المكوكية، التي يقوم بها مبعوث الرئيس الأمريكي. ريتشارد هولبروك، الذي قضى ثلاثة أيام متواصلة ببلجراد يتفاوض مع

الرئيس اليوجوسلافي، ثم طار إلى بروكسيل. كان فشله في المفاوضات يعني إصدار قائد "الناتو" أوامره لتقوم صواريخ كروز بالخطوة الثالثة، وتبدأ في ضرباتها الجوية إلى صربيا، وتوجه هذه الضربات من السفن الحربية للحلف بالأدرياتيكي. ثم يلي ذلك كما يصرح قادة الحلف- تدمير آلة الحرب الصربية وأساساً دفاعاتها الجوية القوية.

لكن تدخل "الناتو" مليء بالمخاطر: وعلى رأسها توجيه هذه الضربات دون "تصريح" من "مجلس الأمن". فسيؤدي هذا- ضمن ما يؤدي- إلى معارضة شديدة من روسيا، وانقسام الحلفاء الأوربيين. وصرح الرئيس الروسي بوريس يلتسين أن "الضربات الجوية ستضر بالسلام العالمي". ويدرك القوميون- المتطرفون الروس أن منح كوسوفو الاستقلال معناه أن تحاول المناطق النائية في "الاتحاد الفيدرالي الروسي" أن تفعل نفس الشيء وشيشينيا اعتمدت الكفاح المسلّح لتحصل على استقلالها، الذي حصلت عليه بالفعل.آما "الانفصاليون" الروس، فلا يحبون الغرب، ولا يحبون تدخل "الناتو" إذ أن معناه أن يفعل نفس الشيء إذا ما حاولوا الانفصال عن "الاتحاد الفيدرالي الروسي" يوماً ما. لكن حكومات الغرب تدرك كما صرح أحد المسئولين الغربيين لمجلة الإيكونوميست الأسبوعية البريطانية، دون أن يذكر اسمه، "أن الكريملين ينبح ولا يعض"! لكن هذا خطأ فادح في التقدير السياسي، إذ يمكنها أن تزيد من التوتر بأن تقف مع سوريا علناً

ضد تركيا. وأن تزيد من التوتر داخل "الناتو" بين تركيا من ناحية واليونان من ناحية أخرى. ويمكن أن تطلب بعض الحكومات الغربية موافقة برلماناتها. خاصة الحكومة الإيطالية التي تواجه أزمة سياسية. وحكومة الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الجديدة في ألمانيا.

ولا يخشى الصرب القنابل. لكنهم يخشون ما بعدها الذي قد يكون الفوضى الشاملة: الهجمات التي قد تكون مسلحةً على السفارات الغربية. وعلى شخصيات المعارضة الصربية. وعلى وسائل الإعلام المستقلة. فالبلاد مقسمة بين ميلوسيفيتش وأنصاره من القوميين المتطرفين المتشددينَ. من جانب. وهؤلاء الذين يلومون ميلوسيفيتش على ضياع سلوفينيا وكرواتيا والبوسنة، وسياسته التي أدت إلى الإفقار ومعاداة الغرب. وليته حقق أحلام "صربيا الكبرى". بل كانت مناداته بها مجرد شعارات. وقد يكون رئيس الجبل الأسود ميلو ديوكانوفيتش الذي يعادي الرئيس اليوجوسلافي، ويصادق الغرب. ويتمتع بعقلية متمردة وشخصية ليبرالية. قد يكون على رأس الخاسرين من ضربات "الناتو". فقد حذر شعبه الصغير أن قوات الجيش اليوجوسلافي قد تدخل جمهورية الجبل الأسود. وقد تطيح به موجة التطرف القومي. التي قد تنتج عن ضربات "الناتو". آما في كوسوفو نفسها. فقد تكون الضربات الجوية التي يوجهها "الناتو". دون إنزال قوات برية. كارثة على شعبها الصغير الذي سيواجه آنذاك الانتقام الصربي.

وقال سكرتير عام الأمم المتحدة كوفي عنـان في تقريـره الـذي قدمـه للأمم المتحدة عن كوسوفو في نفس ذلك الأسبوع أن حملة "الإرهاب والعنف" التي قامت بها القـوات الصربيـة الخاصـة قـد اقتصرت- حتـى الآن- علـى القرى التي نشط فيها مقاتلو "جيش تحرير كوسوفو". لكنـه لاشك سـيمتد إلى القرى والمدن الأخرى في حالة ضربات "الناتو" الجوية لصربيا. وقد تقصد هذه القوات. المدن الذي ذهب إليها اللاجئون. من ألبان كوسوفو. على وجه الخصوص. ولقـد عطـل التهديـد بتوجيـه الضربـات، المسـاعدات الـتي كـان يحصل عليها اللاجئـون مـن الوكـالات الدوليـة. فقـد ألغـت بعثـة "الاتحـاد الأوربي"، على سبيل المثال رحلتها في كوسوفو لتقييم ما يحتاجه اللاجئـون من مساعدات.

وتقدر وكالة غوث اللاجئين أن الحرب ضد شعب كوسـوفو، الـتي امتدت لسبعة أشهر حتى الآن، أحرقت ودمرت فيها مائتا قريـة، وتحـول ٢٧٠ ألفاً من سـكان كوسـوفو إلى لاجئـين، هـرب منهـم سـبعين ألفـاً خـارج كوسوفو: أساسا إلى جمهورية ألبانيا، وجمهورية الجبل الأسود الداخلـة في إطار "الاتحاد الفيدرالي اليوجوسلافي".

انفرد "التحالف الغربي" وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، بالعالم، بعد سقوط الاتحاد الفيدرالي السـوفيتي، وسـور برلـين عـام ١٩٨٩، ونهاية "حلف وارسو" و"الحرب الباردة". إنه عالم أحادي القوة، أي ليـس

به غير قوة عظمى واحدة. وبدأ هذا الوضع الجديد بحرب العراق بعد غزوها الكويت، ثم توجيه عدد محدود من الضربـات الجويـة إلى الصـرب، ذهبـوا بعدها إلى مائدة المفاوضات بالولايات المتحدة حيث عقـدت اتفاقيـات ديتـون للسلام في البوسنة.

ومن ناحية القانون الدولي، هذه هي أول مرة يوجه فيهـا "النـاتو" ضربـات إلى دولـة مسـتقلة، دون أن يحصـل علـى موافقـة الأعضـاء الخمـس الدائمين في "مجلس الأمن". فلم ينص قرار الأمم المتحـدة الخـاص بكوسـوفو إلا على "النظر في الأمر لاتخاذ عمل مـا"، إذا مـا تجـاهلت صربيـا والألبـان القوميين القرار بإنهاء الصدام المسلّح".

لم يحدث مثل هذا الأمر، منذ أن أعلن الرئيـس الأمريكـي جـورج بوش عـن "بـزوغ نظـام عـالمي جديـد" عـل أثـر انهيـار "الاتحـاد الفيـدرالي السوفيتي" فقد فرضـت بـالقوى منـاطق ممنـوع فيهـا الطـيران، بعـد حـرب الخليج. كما فرضـت علـى العـراق "عقوبـات أخـرى" بحجـة حمايـة أكـراد العراق والشيعة. لكن هذا كان بعد غزو الجيش العراقي للكويـت، العضـو في الأمم المتحدة.

بعدها فرضت الولايات المتحدة "التدخـل الإنسـاني" في الصومـال، والذي فشل فشلاً ذريعاً، بعـد سـقوط نظـام الرئيـس الصومـالي محمـد سياد بـري. ثـم جـاء تدخلهـا في البوسـنة في إطـار تحلـل الاتحـاد الفيـدرالي

اليوجوسلافي. أما تدخل الغرب في كوسوفو، فجاء في إطار قول الغرب أنها "إقليم" تابع لجمهورية صربيا، لذا فالغرب لا يؤيد استقلالها عنها.

ساعدت أزمة كوسوفو الغرب، على سن قوانين تدخله في عالم ما بعد الحرب الباردة، وسقوط المعسكر الشيوعي بزعامة الاتحاد الفيدرالي السوفيتي السابق. وتبلورت سياسة ما يطلق عليه الآن اسم "دبلوماسية توجيه الضربات"

فدبلوماسية "الضربات الجوية" تذكرنا بـ "دبلوماسية القوارب المسلحة" الإمبريالية القديمة. إنها هي نفسها ولكن في عالم ما بعد الحرب الباردة. وهي الدبلوماسية المفضلة الآن لدى الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية. إن الغرب باستخدامه لهذه الدبلوماسية الجديدة- القديمة قد حصل على ما يريد في كوسوفو، في ظل النظام العالمي الجديد. وأصبح "الناتو" هو الأداة التي لا يقف أحد ولا يمكن أن تقف دولة في وجهه، سواء بإجماع "دولي" من الأمم المتحدة كما حدث في حرب الخليج ضد العراق، أو دون أخذ إذن من "مجلس الأمن" كما حدث في حالة كوسوفو مؤخراً. لكن تزداد معارضة روسيا والصين لهذا الإجماع الغربي الذي يلتف حول المحور الأنجلو- أمريكي.

وتستخدم الولايات المتحدة الأمريكية في هذه الدبلوماسية الجديدة، تفوقها العسكري والتقني، للضغط السياسي والدبلوماسي. وقال

أستاذ "قرار الصدام" بقسم دراسات السلام بجامعة براد فورد البروفيسور بول روجرز، بمقال له بصحيفة الجارديان اليومية البريطانية:

"أصبحت الضربات الجوية والتهديد باستخدام صواريخ كرويز سلاح في السياسة الخارجية"!. وليس لدى روسيا صواريخ كرويز، ولا ما يماثلها. الولايات المتحدة الأمريكية وحدها هي التي تملكها. وستبيع بعضاً منها للسلاح البحري الملكي البريطاني، من خلال العلاقة الخاصة التي تربط بين البلدين، وبهذا تنضم بريطانيا بزعامة رئيس الوزراء البريطاني العمالي توني بلير، إلى الولايات المتحدة في فرض "دبلوماسية الضربات الجوية". وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية الآن، بتطوير أسلحة تعمل بأشعة الليزر، هدفها مهاجمة الصواريخ البالاستية. ويمنح هذا الولايات المتحدة الأمريكية مزيدا من القوة والقدرة العسكرية.

وتختار الولايات المتحدة أهدافها العسكرية لتخدم سياستها التي تريد فرضها خلال أزمة بعينها، وليس لأهداف عسكرية. وكشفت عن هذا مجلة أمريكية لها علاقة بالمؤسسة العسكرية هي: مجلة "تقنية الطيران والفضاء" الأسبوعية الصادرة في ١٢ أكتوبر ١٩٩٨، إذ قالت أن المسئولين الكبار بالمؤسسة العسكرية الأمريكية الذين يضعون الأهداف العسكرية عادة، قد نزع منهم حق اختيار الأهداف والأسلحة عند وضع خطط الهجوم على جمهورية صربيا. وقالوا أن "البنتاجون فرض جواً مماثلاً لذلك الذي

كان سائداً أيام "حرب فيتنام"، عندما كان يتم اختيار الأهداف لخدمة أغراض سياسة أكثر منها عسكرية".

لم تكن الضربات الجوية التي استخدمت لأهداف سياسية ناجحة بالمرة، يضاف إلى هذه الأسباب مؤخراً أسباب "أزمة كلينتون الجنسية" الداخلية وفضائحه مع مونيكا لويسكي. فالضربات الجوية الأمريكية الأخيرة على السودان وأفغانستان والعراق، خير دليل على هذا. ولقد كان وجود القوات الأرضية في البوسنة هو الذي أجبر الصرب على الذهاب إلى مائدة المفاوضات في ديتون، وليس الضربات الجوية.

وبدراسة نشرتها صحيفة الجارديان كتبها الدكتور سيوماس ميلني وريتشارد نورتون- تايلور، قسما التدخل العسكري الغربي، بعد انتهاء الحرب الباردة إلى ثلاثة أنواع:

<u>الأول:</u> يمثل امتدادا أمريكياً لسياستها في القرن التاسع عشر طبقاً لـ"مبدأ مونرو"، كانت هذه السياسة في الماضي لإجبار الشيوعيين [أما الآن فلإجبار المختلفين مع الولايات المتحدة الأمريكية سياسياً وأيديولوجيا] إلى حظيرة العالم الغربي. والغزو الأمريكي لبنما، ولهايتي، يقع في هذا الإطار، بغض النظر عن الادعاءات الكلامية.

<u>والثاني:</u> الضرب الانتقامي كرد على سياسة لا ترضى عنها الولايات المتحدة الأمريكية، وتغلف باتهامات لهذه الدولة بأنها ترعى "الإرهاب" وغيره من

الاتهامات: مثل ضرب السودان وأفغانستان بصواريخ كرويز. الذي أمر به الرئيس الأمريكي بيل كلينتون في شهر أغسطس ١٩٩٨. وأثارت هذه الضربات كثيراً من الجدل لعدم توفر الأدلة. ويأتي ضرب ليبيا عام ١٩٨٦. في هذا الإطار.

والثالث: الضربات الجوية مثلما حدث في البوسنة. وتهديد الصرب بها لما يقومون به في كوسوفو. ويأتي في هذا الإطار أيضاً ضرب التحالف الغربي للعراق، لأنه وقف ضد المصالح الغربية في المنطقة.

وإذا كان "الناتو" ممثلا للتحالف الغربي العسكري. قد تدخل باستعراض القوة. والدبلوماسية المكوكية لفرض الحل الذي يريده على صربيا وعلى الرئيس القومي- المتعصب ميلوسيفيتش. فهو لم يتدخل في حالة مماثلة تماما، ضد روسيا. لإنقاذ شيشينيا وشعبها. ورغم ذلك حصل الشيشان على ما يريدون. وفرضوه على حكومة الاتحاد الفيدرالي الروسي.

كذلك لم يتدخل الغرب في حالات فاضحة. والسبب أن الذي قام بها أصدقاؤه وحلفاؤه: فلم يساند "التحالف الغربي "حكومة ميلا" في لواندا العاصمة الأنجولية. فمنذ عام ١٩٩٢، و"البوينتا" بزعامة سافمبي- صديق الغرب- تحارب حكومة لواندا المنتخبة تحت إشراف الأمم المتحدة، وقبلت يونيتا نتائجها. ورغم قرارات الأمم المتحدة المتوالية.

ولم يلعب "التحالف الغربي" أي دور . ولم يتحرك في أكبر مذبحة شهدتها البشرية عام ١٩٩٤، في رواندا. لأن فرنسا كانت موجودة

هناك تساعد الحكومة الرواندية التي قامت بهذه المذابح. كذلك لم يتدخل "التحالف الغربي" لإجبار إندونيسيا- التي كانت آنذاك تحت حكم صديق الولايات المتحدة الأمريكية. الدكتاتور سوهارتو- لإجباره على الرضوخ لقرار الأمم المتحدة. ضد ضم تيمور الشرقية بعد خروج الهولنديين منها. كذلك لم يوقف "التحالف الغربي" إسرائيل عن احتلال الضفة الغربية الفلسطينية ولا عن احتلال جنوب لبنان. لأن إسرائيل هي ربيبة الولايات المتحدة الأمريكية. ولم يوقف "التحالف الغربي" تركيا عن احتلال الجزء الشمالي من قبرص والذي يستمر حتى الآن.

كان الرئيس جيرالد فورد. هو الرئيس الأمريكي الوحيد في السبعينات الذي لم يأمر القوات الأمريكية بالعدوان على أي بلد. وكان لهذا أسبابه. ولا شك أن جزءاً كبيراً من التدخلات الآن. يرجع إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية أصبحت هي القوة العظمى الوحيدة على الساحة الدولية. وهي تقف على قمة "التحالف الغربي" الذي يوسع نفوذه شرقاً، في دول أوربا الشرقية الشيوعية سابقاً. وفي بقية أنحاء العالم. وبناء على هذا الوضع الجديد. وضع البنتاجون خطته للهيمنة على العالم. وقد "تسربت" هذه الخطة إلى صحيفة "انترناشونال هيرالد تريبيون الأمريكية عام ١٩٩٢، فنشرتها بالكامل.

وتقول الخطة أن هدف الولايات المتحدة الأمريكية الأساسي هو "الهيمنة العالمية" عن طريق "الحفاظ على مصالح الدول الصناعية المتقدمة

الأخرى"....... "وتمنعهم في نفس الوقت من تحدي قيادة الولايات المتحدة للعالم أو تغيير النظام الاقتصادي- والسياسي العالمي. بأي شكل من الأشكال".

وهذا هو بالضبط ما إتبعته الولايات المتحدة الأمريكية في يوجوسلافيا السابقة في أزمة "كوسوفو". فقد كان هناك جدل حول دور ألمانيا المساند لـ"جيش تحرير كوسوفو" والذي ينعكس في محاولات المخابرات الألمانية BND أن تسانده. لكن المخابرات المركزية الأمريكية CIA، أسرعت لتحبط هذا الدور. وتخضعه للسياسة الأمريكية، وظهر هذا واضحاً لكل من يعلم هذه الحقيقة حول الخلافات بين البلدين والخاصة بقضية "كوسوفو".

وكانت "التايم" الأمريكية قد نشرت عام ١٩٩٧ عدة وثائق عن تحالف قام بين وكالة المخابرات المركزية الأمريكية" CIA سي أي ايه والبابا "جون بول" وهو من أصل بولندي. لإسقاط الشيوعية. ولما سقط "سور برلين" تحالفت الولايات المتحدة الأمريكية القوة الاقتصادية العظمى. مع ألمانيا: أكبر قوة اقتصادية أوربية. لغزو دول أوربا الشرقية - الشيوعية السابقة. ويأتي الوقوف في وجه روسيا في هذا الإطار. والتي بدأتها حقبة بوريس يلتسين. وصحيح أن أصبح للشيوعيين الروس كلمة أكبر في حكومة يفيجيني بريماكوف. إلا أنه من الصعب أن تقف روسيا في وجه هذه التحالفات الغربية في عالم ما بعد "الحرب الباردة".

ودور "الناتو" لم ينته بنهاية المعسكر الشيوعي. و"الحرب الباردة". كما كان يظن كثيرون. على العكس من ذلك تماماً. إنه يوسّع من دوره: فيحاول أن يضم أعضاء جدداً من الدول الشيوعية السابقة، رغم اعتراض روسيا. وأن يضم بعض دول "الاتحاد الأوربي" التي لم تنضم من قبل إلى "التحالف". وهي تشرك دول أخرى فيما يسمى بـ"الشراكة من أجل السلام". ويفكر "الناتو" في ضم دول كانت ضمن الاتحاد الفيدرالي السوفيتي، بعيداً إلى الجنوب. حتى أوزبكستان.

وكان سكرتير عام "الناتو" جافيير سولانا، في زيارة لمنطقة القوقاز. قبل اشتعال أزمة كوسوفو. وتفرغه لها في نهاية شهر سبتمبر وأوائل شهر أكتوبر. ففي هذه المنطقة الآن. أكبر احتياطي بترول وغاز طبيعي في العالم، وهي منطقة تشهد الآن "لعبة كبرى" جديدة. كتلك التي تمارس في أفغانستان في القرن التاسع عشر، كجزء من الصراع بين الإمبراطورية البريطانية. والإمبراطورية القيصرية الروسية.

ويدرك الأوربيون أن الولايات المتحدة الأمريكية تدفع "التحالف الغربي" نحو تحقيق هذا الهدف. ففي بداية عام ١٩٩٨، اجتمع عدد من الوزراء السابقين والشخصيات البريطانية الهامة. وحثوا الحكومة البريطانية العمالية، برئاسة أنطون بلير. على الوقوف في وجه توسع "الناتو". وكان من بين هذه الشخصيات: وزير الدفاع البريطاني السابق

لورد هيلي، ومساعد السكرتير العام للناتو سير آرثر هوكاواي، والسفير البريطاني السابق لدى "الناتو" سير جون كيليك، ونائب القائد الأعلى السابق للقيادة المشتركة في أوربا الجنرال سير هاري توزو.

قالوا أن قبول بولندا، والمجر، وجمهورية التشيك في الحلف عام ١٩٩٩، ليس في مصلحة أوربا. وينبع توسيع الولايات المتحدة الأمريكية للحلف العسكري، إلى خوفها من عدم الاستقرار في روسيا.

وقالت الورقة التي قدموها لحكومة توني بلير: "لماذا تقبل ثلاث من دول حلف وارسو كانت تدور في السابق في فلك الاتحاد السوفيتي؟ من الواضح تماماً أن الإجابة هي الخوف من عودة روسيا ضدنا مرة أخرى، ونحن نتخذ هذا الموقف لنكون في موضع القوة إذا ما حدث ذلك".

وفي التقرير السنوي "الميزان العسكري" لعام ١٩٩٨ الذي أصدره المعهد الدولي للدراسات الإستراتيجية IISS بلندن، جاء أن الالتزامات العسكرية الأمريكية في البلقان والخليج، بينت قدرة الولايات المتحدة على الاحتفاظ بقواتها ، على درجة كبيرة من الاستعداد فيما وراء البحار، بعد أن أثيرت تساؤلات حول قدرتها على التعامل مع صدامين إقليميين كبيرين. وبين الإنفاق بين صربيا والناتو، في نفس الوقت، حدود الدبلوماسية التي يسندها التهديد بتوجيه ضربات جوية. فالتهديدات العسكرية لا "تولّد

غــير استســلام جزئــي ومؤقــت". فمــا أن ينتهـــي التهديــد بتوجيــه الضربات، بتقديم تنازلات، حتى يكون من الصعوبة بمكان تنفيذ التهديدات مرة أخرى.

[٨] الناتو يستعد

الناتو يستعد

كانت وزيرة الخارجية الأمريكية مادلين أولبرايت في مقدمة رأس الحربة الأنجلو- أمريكية لإقناع أعضاء "الناتو" المترددين لتوجيه "ضربات جوية " لصربيا. فأرسلت خطاباً شخصياً لكل وزير خارجية من وزراء "الناتو"، اتبعته بمكالمة تليفونية. جاء في خطابها:

"ليس هذا وقت تراجعنا. فهو أمر جد خطير. نحن نريد في الحقيقة حلاً سلمياً. لكننا التزمنا وينبغي أن ننفذ التزامنا"

وشارك وزير خارجية بريطانيا روبن كوك في عملية الضغط. ولازمت هذه الحملة بداية رحلة ريتشارد هولبروك الدبلوماسية المكوكية التي بدأت في الخامس من أكتوبر ١٩٩٨. وجاءت هذه الضغوط بعد "اجتماع الكارثة" كما أطلق علية الأمريكيون – لـ "وزراء خارجية"الاتحاد الأوربي" بلوكسمبورج قبلها بأسبوع واحد. آنذاك لم يصل الوزراء إلى اتفاق عام حول توجيه "الناتو" لضربات جوية لصربيا. وعمل وزيرا خارجية الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، بالإضافة إلى سكرتير عام "الناتو" جافيير سولانا، على التخفيف من مخاوف الإيطاليين، والألمان، والهولنديين، واليونانيين، والدنمركيين،والأسبان، وكانوا يخشون توجيه ضربات جوية دون قرار من "مجلس الآمن" وكانت الجملة التي يكررها الموافقون:

سكرتير عـام "النـاتو" جافيـير سـولانا. والسـفير الأمريكـي لـدى "النـاتو" ساندى فير شباو. ووزير الدفاع البريطاني جورج روبرتسون: "إن مصداقية الناتو الآن في الميزان". وكانَ سؤال الرافضين هو: ومـاذا يفعـــل النــاتو. إذا وجه ضرباته الجوية، وأستمر الرئيس اليوجوسلافي يرفض سحب قواته من كوسوفو على أساس إنها جزء من صربيا؟ وكان الأوربيون يتساءلون إلى متـى سيسـتمر الكونجـرس الأمريكـي المنقسـم والمنعـزل. في تحمـل عـبء الأمـن الأوربي ؟

كانت مصداقية "الناتو" هنا تعني شيئان مختلفان:

الأول: بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية تعنى. بتنفيـذ خطـة "الضربات الجوية" التي تعنى الهيمنة الأمريكية على العالم ؟

والثاني: بالنسبة لأوربا. فكل ساسـتها مـن الجيـل الوسـط عـاش عصر"المظلــة النوويــة الأمريكيــة لأوروبــا."والحــرب البــاردة"وبالتــالي فــإن "المصداقيــة "تعنــى اسـتمرار هـذا الوضـع. فمصداقيــة "النــاتو" هنــا. تعنــى بالنسبة لهم الرد على التهديد النووي الذي ما زال موجـوداً. ولا أحـد غـير الولايات المتحدة الأمريكية تستطيع أن يرد عليه.

ولكن قضية كوسوفو شئ آخر: إذ مد "الناتو" نفـوذه إلى دول وسـط وشرق أوربا الشـيوعية السـابقة. وتنضـم إليـه بولنـدا والمجـر وجمهوريـة التشيك.وكان توسع"الناتو" شرقاَ يسـتخدم لإقنـاع الأوربيـين بأنـه يمكنهـم

القيام وحدهم بعملياتهم الخاصة بالأمن الأوروبي، دون اللجوء إلى القوات الأمريكية، باستخدام التسهيلات وإمكانيات الناتو من معلومات مخابراتية توفرها الأجهزة الإلكترونية الأمريكية الحديثة، إلى جانب إمكانيات نقل الجنود وتموينهم الخ. وفي الوقت نفسه كان يقال للروس،أن توسع الناتو شرقاً – وكان يقفون ضده بكل قواهم – ليس ضدهم، هذا رغم أن دول أوروبا الشرقية تريد الانضمام أساساً لخوفها من روسيا.

واستخدمت مسالة "مصداقية" الناتو في"اللعب على المشاعر القومية والوطنية" وعلى سبيل المثال "سيقضى على تطلعات ألمانيا في قيادة أوربا، إذا ما لعبت دورها السياسي والعسكري كشريك في الناتو" وكذلك كان يقال لتركيا "أنها ينبغي أن تصر على أن عضويتها في "الناتو" تعنى ضرورة قبولها عضو في الاتحاد الأوروبي، مثلها مثل اليونان".

فـ "مصداقية الناتو" ليست مجرد جملة مفيدة، بل أصبحت ذات معنى في السياسة الدولية فقد أظهرت قوتها بفرض"اتفاقية ديتون للسلام في البوسنة" على الأطراف الثلاثة عام ١٩٩٥. وعلى"الناتو" أن يبين مرة أخرى في "قضية كوسوفو" انه إجابة على كل أسئلة أوربا المتعلقة بالأمن. وهذا هو السبب في أن "الناتو" ينبغي أن يطلق ضرباته الجوية، وصواريخ كرويز إلى صربيا. فليس السبب أن هذا سيفرض "السلام" وليس لأن "الناتو" يريد أن يساعد ألبان كوسوفو على الاستقلال، على العكس من ذلك إذ يرى "الناتو"

أن أفضل ما يناسب كوسوفو، هو أن تظل تحت السيادة الصربية. وليس لأن "الناتو" يريد أن يطيح بالرئيس اليوجوسلافي سلوبودان ميلوسيفيتش، على العكس من ذلك تماماً فالولايات المتحدة ترى أن بقاءه هو ضمان "للسلام" في المنطقة.

السبب بكل وضوح وصراحة أن قادة الناتو السياسيين هددوا ميلوسيفيتش كثيراً، ويعتمد وجود "الناتو" ذاته على ادعائه بأنه سيجلب الأمن والسلام لأوربا. فالناتو قد يوجه ضرباته الجوية إلى صربيا، ويحاربها ليحقق مصداقيته.

ومن السخرية القول بأن أزمة كوسوفو أتت في الوقت المناسب، أي آن الرئيس ميلوسيفيتش تقدم لإنقاذ "الناتو" في الوقت المناسب.فبعد انهيار الاتحاد الفيدرالي السوفيتي عام ١٩٩١، أصبح من الواضح أن أوربا لم تعد مكاناً آمناً، ولم يكن هناك وقت "لتفكك" أوربا نظام الأمن الذي عرفته طوال سنوات "الحرب الباردة" والذي شاركت فيه، وترأسته الولايات المتحدة الأمريكية.

وجاءت البوسنة لتنقذ "الناتو"، فتقدم ليقوم بمهمات "ما بعد الحرب الباردة" فيقوم بـ "حفظ السلام"، "ومؤسسة" تستطيع دول "حلف وارسو" السابقة أن تنضم بها رسمياً إلى "الغرب". وقدم "الناتو" برنامج الشراكة من أجل السلام الذي سمح حتى لروسيا بأن "تشارك" في أعمال "الناتو" لها صوت وان كانت لا تمتلك "حق الفيتو"

وحقق الرئيس بيل كلينتون بمشاركة "الناتو" في عملية البوسنة شيئاً هاماً، إذ انتقل "الناتو" إلى عالم "ما بعد الحرب الباردة". لم يعد "حلفاً عسكرياً غربياً" لمواجهة الاتحاد السوفيتي والشيوعية، بل أصبح "نظاماً أطلنطياً للأمن يضم روسيا"

هكذا تشكل النظام الأمني الجديد، بعد "الحرب الباردة". وأصبح قلب "المبدأ الإستراتيجي" الجديد. وهو المبدأ الذي يقره ويدشنه اجتماع قمة واشنطن الذي يعقد بمناسبة الذكرى الخمسون لتأسيس "الناتو". وسينص هذا "المبدأ" فيما ينص على واجبات حفظ السلام والاستقرار التي يؤيدها "الناتو"ا لموسع، ذلك أن مهمة الناتو في استقرار الأوضاع ستكون متسعة لتشمل العالم أجمع !

لكن ينقص من هذا الدور، أن تكون المذابح على مرمى حجر من بابه، ويشاهدها الناس تنقلها شاشات التلفزيون، ولا يتحرك. ولا يمكن أن يسمح بشيء أن يقف في وجه هذا الهدف: لا القانون الدولي الذي يحتم انتظار قرار "مجلس الأمن"، ولا أمل شراكة استراتيجية مع روسيا، ولا الاستقرار المقبل لحكومة التآلف – الألمانية. ليس هناك شئ من هذا يقف في وجه "مصداقية الناتو"

عندما بدأ المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك رحلته المكوكية، مستخدماً "دبلوماسية الضربات الجوية"، كان "الناتو" قد وضع خطط

هجومه على المواقع الصربية، حتى قبل أن تجمع حكومات "الناتو" الستة عشر على توجيه هذه الضربات، حتى في اجتماع سفراء هذه الدول لدى "الناتو"، الذي انعقد أولَ أكتوبر.

وضع خبراء الناتو قائمة شاملة لجميع الأهداف العسكرية الصربية ومواقعها، وتضم:

- نظم الدفاعات الجوية،
- وقواعد انطلاق طائرات الهليكوبتر الصربية، التي تضرب قرى كوسوفو.
- مواقع الإمدادات والتموين والنقل "للجيش الوطني اليوجوسلافي".

وإذا أخذنا نموذج ضربات "الناتو" الجوية في البوسنة ضد الصرب عام ١٩٩٥، فقد وضع "الناتو" قائمة بالأهداف العسكرية الصربية التي سيتم ضربها على ثلاث مراحل. لكن "الناتو" لم ينفذ منها إلا مرحلتين، وافقوا بعدها على الذهاب إلى مائدة المفاوضات. آنذاك أطلق "الناتو" ١٣ صاروخ كروير طراز "توماهوك" على نظم الدفاعات الجوية المضادة للطائرات، خارج "بانيا لوكا" في المنطقة الصربية الحصينة.

آنذاك لم تنفذ المرحلة الثالثة التي كانت ستضرب أهدافاً في صربيا نفسه، لأن صرب البوسنة نفذوا ما طلب منهم، وهو سحب المدافع الثقيلة

من التلال المحيطة بالعاصمة البوسنية سيراييفو، ووافق على الذهاب إلى مائدة المفاوضات بديتون. وكما يقول المثل "ناس تخاف ولا تختشيش"!

والمرحلة الأولى من خطة "الناتو" هي ضرب مواقع الرادار الصربية بصواريخ "هارم آند ألارم" المضادة للرادارات، حتى تتقدم القاذفات بعد ذلك وتضرب أهدافها المرسومة. وتوجد مواقع الدفاعات الجوية الصربية في التلال المحيطة بالعاصمة اليوجوسلافية - الصربية بلجراد. وكان مخططاً أن تكون هذه المواقع هي أولى الأهداف التي يضربها "الناتو". ثم تليها المواقع العسكرية الصربية بالعاصمة الكوسوفية بريشتينا. كذلك هناك قاعدة جوية وثكنات عسكرية صربية كبيرة ببريشتينا، لكنها تقع في مناطق سكانية - كوسوفية.

وكتب محرر القضايا الاستراتيجية والأمنية بصحيفة الجارديان، ريتشارد نورتون - تايلور يوم الأربعاء السابع من أكتوبر، وريتشارد هولبروك في معمعة المفاوضات المكوكية بين العواصم الثلاث:

"توجه الضربات الأولى بصواريخ كروز من سفن الأسطول السادس الأمريكي، ثم تليها طلعات جوية من قواعد إيطاليا، تقوم بها قاذفة ومقاتلة أمريكية".

"وناقش قادة القوات المسلحة البريطانية [يوم ٦ / ١٠ / ١٩٩٨] احتمال مشاركة قوات أرضية، وفي هذه الحالة تشارك بريطانية بجنود من

مشاة البحرية، وجنود المظلات [الإبرار الجوى] وهذه تشارك في المعركة خلال أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع.

"وقادة القوات المسلحة البريطانية قلقون، من إمكانية الهجوم على قادة القوات البريطانية بالبوسنة، حيث تتواجد في "بانيا لوكاه الصربية، في حالة توجيه ضربات جوية لصربيا. وهم يريدون خطة استراتيجية واضحة تحل كل القضايا".

ثم يناقش خطة "الناتو" فيقول:

<u>أولاً:</u> هناك عدد كبير من صواريخ كرويز ستوجه من الأسطول السادس الأمريكي، المرابط في البحر الأبيض المتوسط، لشل نظم الدفاع - الجوى اليوجوسلافية.

<u>وثانياً:</u> تنطلق الطائرات توريندو لتستكمل نظم الدفاعات الجوية الصربية، قبل توجيه الضربات الجوية الأساسية نحو أهدافها الحقيقية الأولى.

<u>وثالثاً:</u> تقوم القاذفات تورنادوا ف ١٦. إف ١٧، والقاذفات الهاريار جى أر ٧، بالضربات الجوية من قواعد "الناتو" المختلفة المثبتة في أوربا

قراءة الخريطة

الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط.

- سفينة القيادة الحربية: لاسال
- حاملة الطائرات: درايت ايزنهاور
- صواريخ كرويز المواجهة: طراز أتزلو
- صواريخ طرادات المواجهة: آرليخ بيوك، وميتشار
- طرارات: ديبو، وستامى ٤
- ٤ غواصات مهاجمة:

الغواصة ناروال، والغواصة (اتلانتا)، والغواصة نيوبورت، والغواصة سان جوان.

الطائرات المتواجدة في إيطاليا حتى ١٩٩٨/١٠/٤

عدد الطائرات	البلد التابعة له
٤ طائرات	الناتو
١ طائرة	اليونان
٧ طائرات	بريطانيا

١٨ طائرة	الولايات المتحدة
٦ طائرات	فرنسا
٧ طائرات	ألمانيا
١٥ طائرة	إيطاليا
٦ طائرات	أسبانيا
٦ طائرات	كنـــدا
٤ طائرات	بلجيكا
٤ طائرات	تركيا
٨ طائرات	هولنـدا
٨٦ طائرة	المجموع

طراز ووصف طائرات "الناتو" المشاركة:

ف أ ١٨ هورنت

العرض عند الجناحين: ٣٧ قدم و٦ بوصة

السرعة : ١١٩٠ ميل في الساعة

التسليح: قنابل طراز مافريك

هاريير جي آر ٧

العرض عند الجناحين: ٣٠ قدم و٤ بوصة

السرعة : ٦٦٢ ميل في الساعة

التسليح: قنابل موجهة بالليزر

إ ف ١٦

العرض عند الجناحين: ٣١ قدم

السرعة : ١٣٥٠ ميل في الساعة

التسليح: قنابل جي بى يو٢٨

تورنادوجي آر ١

العرض عند الجناحين: ٤٥ قدم و٧ بوصات

السرعة : ٩٢٠ ميل في الساعة

التسليح: قنابل موجهة بأشعة الليزر

توما هوك

العرض عند الجناحين: ٨قدم و٦ بوصات

السرعة : ٥٨٣ ميل في الساعة

التسليح: نووي، ومتفجرات عالية التأثير

ورابعاً: تقوم طلعات أخرى مـن القاذفات إذا تطلـب الأمـر ذلـك، لاستكمال ضرب الأهداف الموضوعة.

وخامساً: إذا لم يستجب الرئيس اليوجوسلافي ميلوسيفيتش للمطالب التي يقدمها له المبعوث الأمريكي الذي بدأ مهمته يوم الخامس من أكتوبر، يقوم "الناتو" بإنزال قوات برية، بدءً بإنزال قوات المظلات بالهليكوبترات وطائرات نقل الجنود الضخمة هيركيول [هرقل].

وسادساً: مزيد من القوات الأرضية لمراقبة أي اتفاقية تعقد لوقف إطلاق النار.

صباح الاثنين ١٢ أكتوبر ١٩٩٨، كان الناتو على أهبة الاستعداد: ٥٣٠ طائرة وضعت تحت إمرة الجنرال ويسلي كلارك القائد الأعلى للقوات المتحالفة في أوربا، لينسق بها الضربات الجوية على الأهداف اليوجوسلافية الصواريخ كرويز توماهوك الأمريكية في إقناع ميلوسيفيتش بمطالب "الناتو" وذلك طبقاً لخطة قيادة "الناتو" التي أقرت.

وطبقاً لخطة "الناتو" تنطلق طائرات توماهوك وحدها في البداية لضرب نظم الدفاع الجوى اليوجوسلافية. وبعدها تشارك في طلعة ثانية ١٧٠ طائرة تعبر الحدود اليوجوسلافية، وسترد على أي ضربة مضادة للصرب يوجهونها.... بعدها تعطى فرصة للرئيس اليوجوسلافي كي يستجيب لمطالب "الناتو" التي يقدمها باسم دول مجموعة الاتصال "الست" و"مجلس

الأمن"، ثم بعدها طلعة تشارك فيها ٥٠٠ طائرة منها ٧٠ طائرة لإعادة ملء الطائرات القاذفة والمقاتلة في الجو، بدلاً من هبوطها وإضاعة الوقت ! ومعنى هذا أن يكون الضرب مستمراً بلا توقف حتى يستجيب الرئيس الصربي للمطالب.

وستكون القاذفتان الأمريكيتان ب ٢ ستليت "التسلل" B2 STEALTH أكثر القاذفات تدميراً، وتقومان من ميسوري بالولايات المتحدة الأمريكية. وكذا القاذفات ب٥٢ الست، التي وصلت إلى بريطانيا وحطت في قواعد السلاح الجوى البريطاني الملكي، قادمة من الولايات المتحدة الأمريكية، أيضاً يوم الأحد ١١ أكتوبر ١٩٩٨.

وسلم طيار كل طائرة صورة الهدف المطلوب منه تدميره في صربيا،كذلك معه قائمة بكل الأهداف، لكن طلب من كل طيار أن يبادر لتحطيم أي هدف من نظم الدفاع الجوى الصربية إذا لم يكن بالقائمة، وشاهدته عيناه. وشاركت ١٣ دولة أعضاء "بالناتو" بطائراتها، ذلك أن لوكسمبورج وأيسلندة ليس لديها سلاحاً جوياً بالمرة. آما اليونان فرفضت المشاركة في ضرب الأهداف الصربية، لأنها لا توافق على الخطة. واليونان من الدول التي تؤيد صربيا. وإن كانت قد وافقت على استخدام قواعدها الجوية ومجالها الجوى وضعتها تحت خدمة "الناتو". ووافقت دول ليست أعضاء في "الناتو" على استخدام مجالاتها الجوية وهى بلغاريا،

وألبانيا ،والمجر، وسلوفينيا. ولكل دولة من هذه أسبابها. وبعضها له موقف معاد من الصرب مثل ألبانيا، التي تؤيد مطالب "ألبان كوسوفو" بطبيعة الحال.

وستضرب كل منطقة في يوجوسلافيا، إذا لزم الأمر، بما في ذلك "كوسوفو" والجبل الأسود. فكما قالت مصادر "الناتو" لمراسلي الصحف البريطانية يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٨" انه لو أعلن استثناء أي منطقة من الضربات الجوية، فسيقوم الرئيس ميلوسيفيتش بنقل نظم دفاعاته الجوية إليها حتى لا تضرب"

وكانت عدة قاذفات طراز ب٥٢ قد شاركت في ضرب العراق عام ١٩٩١، ووصلت كل طائرتين معا من الولايات المتحدة إلى بريطانيا في وقت قصير، وتبعها أربع طائرات نقل جوى عملاقة طراز "جلوبماستار سى١٧" نقلت فرق العمل والذخائر من صواريخ وقنابل.

هكذا تجمعت الطائرات القاذفة والمقاتلة، لأعضاء الناتو[ليس كلهم ١٦ عضواً، بل ١٣ عضواً فقط]. لكن الملاحظ بطبيعة الحال أن معظم الطائرات أمريكية - وبالأرقام والأنواع: هناك بقاعدة أفلانو بايطاليا ١٢٠ طائرة تضم [١٢ طائرة ف ١١٧، ٤٠ طائرة ف ١٦،وست طائرات أ -١٠ وعشر طائرات استطلاع، و٤٠ طائرة تموين ضخمة من الجو، وعشر طائرات إنقاذ.] ومع الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض المتوسط، هناك

٧٢ طائرة بينها عشرة طائرات تومكات، و٣٦ طائرة ف ١٨ هورنت وخمس طائرات هاربير أف٨ب سالبان.

ثم هناك ب٥٢ هـ: طائرتان

- العرض عند الجناحين: ١٨٥ قدماً
- السرعة: ٥٩٥ ميلاً في الساعة
- والمدى: ١٠,١٣٠ ميلاً
- والتسليح: ٢٠ صاروخ كرويز [٨ داخلي و١٢ خارجي]

أما الدول الأخرى، فكانت طائراتها كما يلي:

- بريطانيا: ٨ طائرات هاربير على أهبة الاستعداد بقواعدها بإيطاليا.
- ألمانيا: ١٤ طائرة تورنادو،
- البرتغال: ثلاث طائرات ف ١٦،
- تركيا: أربع طائرات ف ١٦،
- فرنسا: ٢٠ طائرة جاجوار وميراج،
- كندا: ٦ طائرات سي ف ١٨

•هولندا: ١٦ طائرة ف١٦

•النرويج: ٨ طائرات ف ١٦

•بلجيكا: ٤ طائرات ف ١٦[مع استعدادها لإرسال ست طائرات أخرى تقف على أهبة الاستعداد]

•إيطاليا: طائرات تورنادو لم يعلن رسمياً عن عددها.

•الدانمارك: ٤ طائرة ف١٦

•أسبانيا: ٤ طائرة ف١٦

لقد ظلت الضربات الجوية هي العنصر الأساسي الذي تستخدمه القوى العظمى على مدى التاريخ العسكري المعاصر للبشرية، بغض النظر عما تسببه من خراب على "الأرض" ولنتذكر الخراب الذي سببته القاذفة الأمريكية ب ٢٩، عندما ألقت بالقنبلة الذرية ربيع عام ١٩٤٥ على هيروشيما، فحتى الأن، مازال ضحايا يعانون الأمرين، وهؤلاء ضحاياها الذين تبقوا على قيد الحياة.

وليس هذا ما ينوى "الناتو" أن تفعله طائراته المهاجمة [٥٣٠ طائرة مختلفة الأنواع]، بصواريخ كرويز التي تحملها، "فالناتو" يريد أن

يستخدمها لتهديد الرئيس اليوجوسلافي "الصلب الرأس" سلوبودان ميلوسيفيتش، حتى يقبل طلبات الغرب في "كوسوفو".

والهدف الأول للضربات الجوية التي يقوم بها الناتو هو ضرب نظم الدفاع الجوى، فحول بلجراد وحدها ١٨٠ موقعاً للصواريخ المضادة للطائرات، وتدميرها مع القواعد الصربية ليس هو في حقيقة الأمر مهمة "الناتو" الأولى، إنما هدف "الناتو" الخفي غير المعلن، هو تدمير "غريمه" ميلوسيفيتش ومعاونيه العسكريين ومستشاريه. فما أن يروا مدى تدمير الضربات الجوية المستمرة، حتى يستسلموا لإرادة "الناتو" ورغباته،وهذا هو المطلوب.

هذه هي"نظرية" الضربات الجوية وتأثيرها والمطلوب منها. وكان جيليودوهيت وبيلى ميتشيل على صواب عندما قدما هذه النظرية في العشرينات. لقد تحققت نظريتها في التسعينات مع الأسلحة الفائقة الحداثة. فقوة الضربات الجوية في التسعينات تفوق كثيراً ما قام به "السلاح الجوى البريطاني الملكي" ضد ألمانيا في "الحرب العالمية الثانية" عندما شن" حملة توجيه الضربات الاستراتيجية "التي كان هدفها الأساسي" تحطيم المجهود الحربي لألمانيا النازية". لكن إلى جانب الثمن الذي دفعته ألمانيا صناعياً وحربياً ومالياً، فقد كلفتها تلك الحملة الكثير من الأرواح.

ويذكر مؤرخو الحرب العالمية الأولى، أن "السلاح الجوى البريطاني الملكي" قد فقد ٧٠ ألفا من صغار الضباط وفرق قيادة الطائرات. وكانت هذه خسارة كبيرة لأن هؤلاء الرجال كانوا يمتلكون مهارات عالية.

والنظرية العسكرية الجديدة تقول أن الضربات الجوية تحقق مبتغاها بأقل الخسائر الممكنة، من الجانب المهاجم. وهذا هو السبب في أن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون يفضل استخدام هذا السلاح، إذ تعلم درسا قاسياً في الصومال: ألا وهو ما يعني أن عشرين جندياً أمريكيا قتلوا في يوم واحد. فهولا يريد أن تتكرر مأساة فيتنام التي "ترقد" في الوعي الأمريكي ولم تمت. وهذا هو السبب انه استخدام الصواريخ كروز ضد العراق (مرتان) وأفغانستان، وضد السودان بدعوى انه يضرب هناك مصنعاً كيماوياً، وهو في حقيقة الأمر، مصنع أدوية ومستحضرات طبية.

وعيب النظرية الحديثة للضربات الجوية، أنها تفترض أن "العدو" يفكر تفكيراً يمكن التنبؤ به. فلو كان الرئيس ميلوسيفيتش يفكر كما يفكر القادة الغربيين، لما أصبح رئيساً لجمهورية صربيا، ولا رئيساً لجمهورية يوجوسلافيا من بعدها، ولتوصل إلى اتفاق مع الغرب كما توصل قادة بولندا وجمهورية التشيك وبلغاريا وغيرهم. ولو كان منطقياً لاتفق مع "الناتو" قبل أن يبدأ العد التنازلي لتوجيه ضربات جوية إلى يوجوسلافيا. فمثل هؤلاء القادة لا يهمهم ضرب دفاعاتهم الجوية، ولا نظم مواصلاتهم

واتصالاتهم، ولا محطات الكهرباء في بلدهم، ولا تدمير الجسور، طالما انهم يمسكون بالسلطة. ومن نافلة القول أن شعوبهم قد يؤيدونهم في هذه المحنـة مهما كانت درجة القمع التي يمارسـونها. وهـو يسـتطيع أن ينـاور ويخبـئ دباباته ومدافعه، ويسـتمر بوليسـيه في قمع شـعبه. فـالضرر الـذي تسببه الطائرات لا يحسب بالكم وإنما بالعزم السياسي لدى كل شعب...تحت على الأرض. فأهل لندن قاوموا الضربات الجويـة المخيفـة أثنـاء الحـرب العالميـة الثانيـة في عـامي ١٩٤٠، ١٩٤١، رغـم شـدتها، واسـتمر مينـاء هـامبورج الألماني يعمل، رغم ضربه لتأكله الحرائـق. فالضربـات الجويـة "لم تكسـر" عزيمة الشعب البريطاني. وكذلك "لم تكسر" عزيمـة الشـعب الألمـاني، بـل كانت دافعا للمقاومـة. وحـارب الشـعب الفيتنـامي آلـة الحـرب الأمريكيـة الجهنمية حتى انتصر، لم تجد القنابل التي تزن مئات الأرطال التي ألقيـت على هـذا الشـعب البطـل، واسـتخدمت الحفـر الهائلـة الـتي تركتهـا تلـك الدانات كبرك لتربية الأسماك. لقد ألقت الطائرات الأمريكية على فيتنام من القنابل ما يفوق ما ألقتـه في الحـرب العالميـة الثانيـة. انتصـر الفيتنـاميون، لأنهم كانوا يمتلكون العزيمة السياسية، لهزيمة "العدو" مهما كانت قوته.

ففي كل هذه الصدمات، كان الشيء المهم هو قدرة القـوات الجويـة على استغلال "ما لم" تنجزه الضربات الجوية. وهذا ما يعلمنا إيـاه التـاريخ القريب: احتلت القوات السوفيتية والغربية ألمانيا. لكنها خرجت وأصبحت

ألمانيا أقوى دولة في أوربا. كذلك ثلاث سنوات كاملة استغرقتها كرواتيا لتستعيد بعدها كرايينا. وأوقعت بالقوات الصربية هزيمة نكراء يحلفون بها طوال حياتهم، واستغل الكروات ضربات الناتو الجوية لإجبار صرب البوسنة على الانسحاب من كرايينا.

فعندما لا تصحب "القوات البرية" الضربات الجوية، تكون هذه الضربات محدودة الأثر. هذا رغم الادعاءات المضادة: فالرئيس الأمريكي الأسبق رونالد ريجان يدعى أن الضربات الجوية على ليبيا عام ١٩٨٥، قد منعت "عمليات إرهابية". ويستمر الأمريكيون والبريطانيون في هذا الإدعاء حتى الأن، رغم انهم لم ينجحوا في إجبار ليبيا على تسليم متهمين ليبيين، يدعيان انهما فجرا طائرة نفاثة تابعة لشركة بان- أميركان انفجرت فوق لوكربى باستكلنده.

كان أنصار "نظرية جدوى الضربات الجوية" يدعون دائماً أنها تحقق الكثير، رغم أنها لا تحقق إلا القليل، أولا تحقق شيئاً، أو تكون نتيجتها عكسية. وقد تكون ادعاءات الناتو، الآن نفس الشيء، وقد تكون "تهويشاً" لا أكثر. فإنه إذا لم يتراجع الرئيس اليوجوسلافي، فعلى "الناتو" أن يثبت أن المسألة ليست "تهويشاً". عليه في هذه الحالة أن يضرب، وأن يصعد ضرباته الجوية، حتى يكون مع قوله، وإلا اضطر لاستخدام "القوات البرية" ولا شك أن هذه ستكون قصة أخرى.

ويستحق موقف روسيا أن نفرد لـه عدة صفحات .فروسيا تتخذ موقفاً من خطط الناتو ليوجوسلافيا . وهى تجند القيام بمزيد من المساعي الدبلوماسية، لحل " مشكلة كوسوفو" استجابة للمطالب التي قدمتها "الجماعة الدولية"

وصرحت وزارة الخارجية الروسية، أنه ستستخدم "الفيتو" ضد أي محاولة في الأمم المتحدة، لاتخاذ قرار من "مجلس الأمن". وموقف روسيا واضح، مع استعداد "الناتو" لتوجيه ضرباته الجوية، ومع بدء المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك لدبلوماسيته المكوكية، بين العاصمة اليوجوسلافية بلجراد، وعاصمة كوسوفو بريستينا، ومقر رئاسة "الناتو" في بر وكسيل .

واستمرت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في إطلاق التهديدات بضرب يوجوسلافيا . وكان رئيس الوزراء البريطاني في رحلة رسمية للصين، لكنه تحدث بالتليفون من هناك، مع الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، حول تطورات الموقف لحل أزمة كوسوفو، حذر بعدها الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الرئيس اليوجوسلافي" من مغبة استمراره في موقفه في كوسوفو" لكن آفاق قيام "الناتو" بتوجيه ضرباته ضد يوجوسلافيا، بدون قرار صريح من "مجلس الأمن" سيسبب تعقيدات دبلوماسية وقانونية-دولية، مما يلقى الشكوك حول حكمة توجيه الضربات الجوية.

واجتمع وزراء خارجية دول الناتو في بروكسيل يوم الخميس ٨اكتوبر قبيل رحلة هولبروك المكوكية . وقال وزير الدفاع الأمريكي وليم كوهين، "أن الضربات الجوية جزءًا كبيراً من القوة العسكرية الصربية"، وتعارض الولايات المتحدة الأمريكية استخدام أي قوات برية أمريكية في العملية . وذكرت مصادر المخابرات الغربية، أن صربيا قد قوت دفاعاتها الجوية مؤخراً . بشراء عدد من صواريخ سام-٢ وسام-٦ من روسيا . لذا تنظر قيادة "الناتو" بجدية شديدة إلى نظم الدفاع الجوى اليوجوسلافية، قبل توجيه الضربات الجوية .

والولايات المتحدة الأمريكية، مصممة أن يسحب الرئيس ميلوسيفيتش كل القوات الصربية من كوسوفو، وأن يسمح لعشرات الآلاف من اللاجئين الألبان الذين فروا إلى الجبال، بالعودة إلى قراهم. وديارهم . وقال قادة "رابطة كوسوفو الديمقراطية" "انه إذا لم يتم عقاب ميلوسيفيتش الأن، فسيقوم بآي عمل، وستكون الأمور أسوة بالنسبة لألبان كوسوفو".

وذكرت الجمعيات الدولية لحقوق الإنسان، التي تراقب الموقف الصربي في كوسوفو، أن القيادة الصربية قد خفضت من قوات الجيش اليوجوسلافي، لكن قوات البوليس مازالت كما هي لكنها خفضت عدد نقاط المراقبة، وجزء منها لم يعد يرتدى الزي الرسمي، وللتمويه ارتدى أفراده الملابس المدنية واحتلت قوات البوليس الصربي منازل ألبان كوسوفو نصف المهدمة والمتواجدة على الطرق الرئيسية " .

ولاحظ المراقبون من هذه الجمعيات أيضاً ، أن وحدات بوليس خاصة ترتدى ملابس الميدان الكاكي، قد ازداد عددها في منطقة درينيتشا التي مازال "جيش تحرير كوسوفو" يتمسك فيها بمواقع قوية .

ويعتقد المتحدث الرسمي باسم "جيش التحرير" آدم ديماتش، في حديث له بصحيفة الجارديان اليومية البريطانية [يوم الأربعاء ٧ / ١٠ /١٩٩٨]" أن الناتو لن يضرب ولن يتدخل . وحتى لو فعل ذلك، فإنما ليصل إلى حل سياسي يفرضه على الصرب لكنه لن يرضى ألبان كوسوفو، الذين لن يكون أمامهم إلا الاستمرار في القتال".

وهذا في حقيقة الأمر فهم سياسي عميق للسياسات الغربية واليوجوسلافية، من قيادة "جيش تحرير كوسوفو".

أكدت بريطانيا والولايات المتحدة هذا الاتجاه، بالقول بأنهما ستمنعان "مأساة إنسانية من الحدوث، حتى ولو استلزم الأمر استخدام القوة".

[٩] الاتـفـاق

الاتـفـاق

يوم الثاني عشر من أكتوبر ١٩٩٨ ، نشرت الصحف البريطانية النقاط [السرية] التي طلب المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك من الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش تنفيذها . وتتلخص خطة هولبروك "لحل مشكلة كوسوفو" في أربع نقاط :

الأولى : أن يسمح بدخول مراقبون مدنيون لا يحملون أسلحة من أي نوع يصحبهم مرافقون من "الناتو" و روسيا ، لمراقبة وقف إطلاق النار في كوسوفو وانسحاب بعض القوات الصربية ،

و الثانية :أن تبدأ المباحثات حول "استقلال ذاتي شكلي لكوسوفو" هذا الشهر [أكتوبر] ، مع تحديد ميعاد لمدة المفاوضات ، تحت الإشراف الدولي لمجموعة "دول الاتصال" الست ،

والثالثة : الانسحاب الجزئي لقوات الأمن الصربية من كوسوفو، لتصل إلى العدد الذي كانت عليه في شهر مارس ١٩٩٨ .

و الرابعة : أن يسمح بدخول منظمات الإغاثة الإنسانية الدولية ، لتقديم الطعام و المأوى للآجئين من ألبان كوسوفو ، ومساعدتهم على العودة إلى ديارهم تحت سمع وبصر المراقبين الدوليين .

كان الجو العام متوتراً : فقادة ألبان كوسوفو يحذرون من خيانة الغرب لألبان كوسوفو ، وكان المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك يقضي

يومه الثالث في التفاوض مع الرئيس اليوجوسلافي ، ولم تعد قيادة "الناتو" تتحدث عن توجيه "الضربات الجوية"، وإنما بدأ الحديث عن "إطالة فترة الدبلوماسية". وكان الغرب مقتنعاً ، أو بالأحرى هولبروك ، بأن ميلوسيفيتش سيعلن قراره يوم ١٢ أكتوبر أو يوم ١٣ أكتوبر ، بإيقاف الضربات الجوية التي يهدد بها "الناتو" مقابل بعض تنازلات في كوسوفو . و كان من المعتقد أن تركز هذه "التنازلات الطفيفة" التي تقضي باحتفاظ بلجراد بآلاف القوات الصربية في كوسوفو ، مقابل زيادة بسيطة في عدد المراقبين الدوليين غير المسلمين .

وذكرت الصحف البريطانية أن هولبروك اقترح أن يكون المراقبون غير المسلمين خليطا من الأمريكيين و الروس ، لمراقبة الانسحاب الجزئي للقوات الصربية .

ووصلت في نفس هذا اليوم إلى قواعد الطيران العسكرية البريطانية ست طائرات أمريكية - من الولايات المتحدة - طراز ب٥٢ ، تحمل كل منها ثماني صواريخ كرويز . للمشاركة في ضربات "الناتو" الجوية ، في حالة فشل التحرك الدبلوماسي الذي يقوم به هولبروك .

وفى نفس اليوم اجتمع سفراء دول الناتو ، لدى الحلف ، في بروكسيل لإصدار قرار بدء الضربات الجوية إذا ما فشلت المفاوضات . وإن كان هولبروك صرح بقولة أن المفاوضات "قد تمتد إذا ما رأينا أن هناك بارقة أمل في حل دبلوماسي".

وقال مراسل الجارديان البريطانية بالعاصمة الكوسوفية برينسيتا، أن زعماء الألبان أبدوا شكهم العميق في الخطة "الغربية" التي سيعلن عنها، فآلية عودة مئات الآلاف اللاجئين الألبان من التلال إلى ديارهم وقراهم، آلية ضعيفة ولا يمكن أن تعمل .وأحد نقاط ضعف الخطة – في رأيهم – هو قطع صلة المراقبين المدنيين بالناتو ووضعهم تحت إشراف "منظمة الأمن والتعاون الأوروبي". وعلى الرئيس ميلوسيفيتش أن يوافق على دخول هؤلاء المراقبين إلى" كوسوفو" وتحركهم هناك بحرية لمتابعة تنفيذ الجانب الصربي لهذا الاتفاق ، وكذلك أن يوافق على السماح لهيئات الإغاثة الدولية بمتابعة عودة اللاجئين الألبان من الجبال إلى ديارهم . لكن قادة كوسوفو الألبان يشككون في تنفيذ ميلوسيفيتش لأي بند إذا ما سمح له ببقاء أي عدد من قواته في كوسوفو زيادة عن مستوى مارس ١٩٩٨ قبل الهجمات الصربية .

وبدأت بالفعل اجتماعات بين ممثلي "الناتو" وروسيا ، استعداد لإرسال فرق المراقبين . وينظر الغرب إلى وجود الروس ، كضرورة حتى لا يدعى الصرب بأن موقف المراقبين الغربيين ضدهم .

يوم ١٣ أكتوبر ١٩٩٨ ، كان المبعوث الأمريكي على وشك التوصل إلى اتفاق مع الرئيس اليوجوسلافي ميلوسيفيتش في الوقت الذي استمر بؤس اللاجئين الألبان .

ويعيش اللاجئين الألبان في العراء ، واستطاع بعضهم اللجوء إلى مدارس في الجبل ، تكدسوا في فصولها . آما الذين يعيشون في العراء فلا يحميهم من الأمطار والثلوج الشتوية القادمة شئ . بعضهم استطاع الحصول على قطع بلاستيك تغطيهم . واستطاعت هيئة الإغاثة الدولية التابعة للأمم المتحدة أن تصل إلى بعض منهم ، لتصرف لكل لاجئ ١١٠ رطلاً من الدقيق كل شهر . وإذا كان في معسكر للاجئين فيحصل على قطعة خبز . واستطاع بعض اللاجئين أن يحضر معه بعض الفلفل الأحمر ، ليأكل قطعة منه مع الخبز . وتلعب "جمعية الأم تيريزا" دوراً كبيراً في توزيع الغذاء وخلافه.

ويعلن الصرب أنه ليست هناك كارثة إنسانية في كوسوفو ، كما يدعى البعض ، وان كل شئ يعود إلى وضعه الطبيعي.

لكن المصادر الغربية تؤكد أنها لا تستطيع أن تذكر عدد اللاجئين الألبان من "التمشيط العرقي" الذي تقوم به" قوات الأمن الصربية" ، ويعود السبب إلى انهم موزعون في مساحة هائلة . وليس معنى هذا انه لا توجد كارثة إنسانية . وقدرت "هيئة إغاثة اللاجئين" العدد في نهاية أغسطس ١٩٩٨ بحوالى خمسين ألفاً . لكن القوات الصربية قامت بعمليات مكثفة في شهر سبتمبر ، بحيث وصل العدد إلى مئات الآلاف ، وبعض المصادر الغربية تقول أن عددهم وصل إلى ربع مليون لاجئ !

وكشف النقاب في هذا الأسبوع بالذات عن المذابح التي ارتكبتها القوات الصربية ضد ألبان كوسوفو ، وهو نفس الأسبوع الذي كان فيه

هولبروك يتحرك بين عواصم ثلاث لإنجاز الاتفاق حول كوسوفو . فالمذابح لا يمكن تجاهله في عالم حولت فيه وسائل الإعلام والاتصال العالم أجمع إلى قرية صغيرة . ولا يمكن تجاهل المذابح حتى ولو كان العالم مشغولاً بأزمته المالية – النقدية الطاحنة ، و الولايات المتحدة مشغولة بفضائح رئيسها الجنسية . وجمعت مجلة نيوزويك الأمريكية في عددها الأسبوعي الصادر يوم ١٢ أكتوبر ١٩٩٨ ، أماكن ١٢ مذبحة جماعية ضد ألبان كوسوفو ارتكبت منذ فبراير ١٩٩٨ ، وأسوأ ثلاثة كانت بين ٢٦،٢٣ سبتمبر ١٩٩٨ . ولعب الإعلام الدولي دوراً كبيراً في تهيئة الرأي العام العالمي والأمريكي على وجه الخصوص لدبلوماسية الضربات الجوية ، وطالب البعض بضرورة أن يوجه "الناتو" ضرباته قبل فوات الوقت كما حدث في البوسنة .

كانت أولى المذابح " المعروفة" تلك التي ارتكبتها قوات ميلوسيفيتش الشتاء الماضي – غير معروف أي شهر منذ فبراير ١٩٩٨ ، فقتلت ٢٦ ألبانيا – عشرة منهم من عائلة واحدة ، بقريتي ليكوسين و سيريز. واحدة من الضحايا وكانت حاملاً ، أطلقت عليها عدة رصاصات في رأسها . وحدثت بقية المذابح في أشهر مارس و مايو ويوليو الماضية . وضحية ثانية كان عمرها لا يزيد عن ١٨ شهراً قتل مع والديه . ومذبحة أخرى لثمانية عشر شخصاً قتلوا جميعاً بالرصاص بقرية أوبريني ولم تتبق غير طفلة رضيع تحاول أن ترضع من ثديي أمها القتيلة . ومعظمهم قتل بالرصاص في ظهره ، مما يدل على انهم قتلوا وهم يلجئون إلى الغابات .

وقامت قوات البوليس الصربي بمذبحة قتل فيها ثمانون شخصاً، وفقأت أعين بعضهم بحربة وجدت تقطر دماً وأحد ضحايا هذه المذبحة في السابعة والثلاثين من عمره ربطه البوليس الصربي إلى شجرة ، وأضرموا فيها النيران . ووصف أحد شهود العيان هذه المذبحة ، بعد أن جرح وتظاهر بأنه ميت .

وكشفت مجلة نيوزويك الأمريكية النقاب عن مذبحة غير معروفة، جرت بقرية جاليشا ، التي أخذ سكانها يهربون من القصف الصربي ، فأمسكت قوات البوليس بمجموعة تتكون من ١٥ رجلاً وامرأة واحدة ، أخذتهم إلى غابة مجاورة ، وقتلتهم جميعاً بالرصاص . كان هذا يوم ٢٣ سبتمبر ١٩٩٨ . وقال طفل في الرابعة عشر اسمه بسيم أديمى أنهم كانوا يضعون "ما يشبه الأقنعة على وجوههم". وقال شهود عيان انهم دهنوها بزيت ألوان غامق – وأيديهم ملوثة بدماء حمراء ، وذكر انهم أخذوا شقيقه الأكبر ووالده ، واثنين من أولاد عمه ، ولم يظهروا مرة أخرى.

أما أسوأ المذابح فحدثت بمدينة اوراهوفاتش التي يصل عدد سكانها من الألبان ستين ألفاً . ففي ٢١يولية ١٩٩٨ اقتحمت قوات البوليس المدينة على إثر انسحاب مقاتلي "جيش تحرير كوسوفو" KLA ، وأخذوا يقتلون من يقابلهم من السكان بشكل عشوائي . ويقول شهود العيان انهم

قتلوا ألفاً ، بينما تقول بلجراد أن عدد القتلى لا يزيد عن ٥٨ شخصاً . وادعت أنهم جميعاً من "الإرهابيين" وبين القتلى أحد المشايخ بإحدى الطرق الصوفية روفاى ، ووجدت جثته في الجامع الذي يؤذن به ، مع عشر جثث من أتباعه بنفس الطريقة الصوفية .

واثمرت الدبلوماسية المكوكية ، ومد المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك فترة المفاوضات مع بلجراد في نفس الوقت الذي أصدرت فيه قيادة " الناتو" إنذاراً لميلو سيفيتش مدته ٤٨ ساعة . وأعلن عن قبوله للاتفاق مع هولبروك .

ينص الاتفاق الذي تم التوصل إليه بين الرئيس اليوجوسلافي ميلو سيفيتش، و المبعوث الأمريكي هولبروك ، تحت تهديد "الناتو" بتوجيه ضربات جوية ، على أن ألفى مراقب أجنبي ينتشرون في كوسوفو ، للتأكد من انسحاب القوات الصربية ، و إعادة المفاوضات التي انقطعت لمنح الإقليم شكلاً من أشكال "الحكم الذاتي" . وقد " أنقذ " هذا الاتفاق ، صربيا ، من ضربات الناتو الجوية " في آخر لحظة ، بعد أن وافقت كل الدول أعضاء "الناتو" على الخطة .

ولا يبقى غير أن ينفذ الصرب التزاماتهم . رغم إنه ضد الاستفتاء العام الذي أجرى في صربيا في شهر أبريل ١٩٨٨ ، ووافق علية الصرب بالإجماع ، ويقضى برفض أي "تدخل أجنبي" في الشئون الصربية ،

بخصوص كوسوفو . والآن على الرئيس اليوجوسلافي أن يفسر لشعبه كيف سيقبل وجود آلفي "مراقب" أجنبي على أرضه . لمتابعة انسحاب "القوات الصربية" من كوسوفو ، تحت إشراف "منظمة الأمن و التعاون في أوربا" OSCE ، صحيح انهم لن يكونوا مسلحين ، بل عزل من السلاح ، لكن سمح أيضاً لطائرات "الناتو" طبقاً للاتفاق . بالطيران في الأجواء الصربية لمراقبة تنفيذ صربيا للاتفاق .

وقد يساعد وجود هؤلاء المراقبين ، رغم أنهم عزل من السلاح ، اللاجئين الألبان على العودة إلى ديارهم ، و يزيلوا الرعب الذي بثته في قلوبهم القوات الصربية بأفعالها الإجرامية . وقد يمكن بهذا تجنب حدوث "كارثة إنسانية" بسبب وجودهم في العراء ، في الشتاء القارس البرودة . لكن هؤلاء المراقبين لا يمكنهم بأي حال منع أي قتال قد ينشب ، أو ما ترتكبه القوات الصربية من أعمال وحشية . ولهذا كان يفضل أن يكون هؤلاء المراقبين مسلحون بهذا الشكل أو ذاك .

ثم أتى الجزء الصعب التنفيذ في الاتفاق ، ألا وهو بدء المفاوضات حول وضعية كوسوفو . كان الرئيس الصربي ، الذي يرأس حكومة صربيا ، ميلان ميلو تينو فيتش ، هو رجل الرئيس اليوجوسلافي (الصربي) سلوبودان ميلو سيفيتش ، وقد توصل إلى اتفاق مع مساعد هولبروك ، كريس هيل ، يعيد إلى كوسوفو ، بعضاً من "الحكم الذاتي" الذي كان

الرئيس الصربي - آنذاك - ميلو سيفيتش ،قد ألغاه عام ١٩٨٩ . لكن الرئيس اليوجوسلافي أشار إلى كوسوفو ، في أول خطاب له منذ انتهت "حرب البوسنة" عام ١٩٩٥ ، على أنها "الإقليم الجنوبي لصربيا" !

و ألبان كوسوفو منقسمون : فإبراهيم روجوفا يقبل خطة كريس هيل "للحكم الذاتي" لمدة ثلاث سنوات . لكن روجوفا يوافق على هذا إذا ألغيت تبعية كوسوفو لصربيا ، ومنحت وضعية في يوجوسلافيا ، مثلها مثل صربيا و الجبل الأسود . لكن الخطة الأمريكية لا تضع في حسبانها كل هذا ، ولا تشير إلى كوسوفو إلا كإقليم . لكن مهما كانت الشروط التي يضعها إبراهيم روجوفا ، فلا يمكنه السيطرة على " جيش تحرير كوسوفا " الذي يعتبر أن الوثيقة تشهد على خيانة الغرب لكوسوفو .

ولا تناقش الورقة الأمريكية أي شكل من أشكال الاستقلال لكوسوفو،فهذا ما يرفضه الغرب ، وإنما نصت الورقة الأمريكية على إعادة تقييم وضعية كوسوفو بعد ثلاث سنوات . ويصر "جيش تحرير كوسوفا"، على منحها حق تقرير مصيرها ، بما في ذلك الاستقلال . ويعتقد أن العناصر الراديكالية هي التي قامت باغتيال وزير الدفاع في حكومة جمهورية روجوفا التي لا يعترف بها أحد ، ويعني هذا أن "جيش تحرير" يقوم الآن بتصفية العناصر "المعتدلة" التي يعتبرها خانت القضية الوطنية . كذلك كاد أحد مساعدي روجوفا أن يغتال في عاصمة كوسوفو بريستينا ، وأفلت

من الرصاصة بعدة سنتيمترات لا غير . ويعتقد المراقبون أن الولايات المتحدة الأمريكية ضغطت على إبراهيم روجوفا ليقبل الخطة الأمريكية . و المرجح أن هذا صحيح ، وبذلك يغامر روجوفا ليس بمستقبله السياسي فقط ، ولكن بحياته وحياة زملائه في "الرابطة الديمقراطية "

أما بقية "الخطة الأمريكية" لكريس هيل ، فهي أن يتبع البوليس ، المسئولين المحليين ، وأن تعكس قوة البوليس ، البنية الاثنية في كوسوفو . وكتبت مجلة "الايكونوميست الأسبوعية البريطانية " [في عددها الصادر يوم ١٩٩٨/١٠/١٧] أن الرئيس ميلوسيفيتش ، كان مصمماً أثناء المفاوضات على أن تكون قوة البوليس مناصفة بين الصرب والألبان في كوسوفو . وهنا ينبغي أن نذكر مرة أخرى أن الألبان يشكلون ٩٠٪ من سكان كوسوفو ، لنعرف مدى تعنت الرئيس اليوجوسلافي .

ونصت الاتفاقية الأمريكية كذلك على إجراء الانتخابات العامة و المحلية في كوسوفو خلال تسعة أشهر من توقيع الاتفاق ، وتحت إشراف "منظمة الأمن و التعاون في أوربا ".

والتنازلات الكثيرة من الرئيس ميلوسيفيتش الذي كان مصمماً حتى الدقيقة الأخيرة ، أن ما يحدث في كوسوفو هو "أمر داخلي" يجعلنا نشك في انه سيلتزم بتنفيذ بنود "الاتفاق الأمريكي" . وإن كان يبين إلى حد ما ، فعالية "دبلوماسية الضربات الجوية" في عالم ما بعد " الحرب الباردة"

لكن هذا يجعلنا نتساءل هل يمكن أن تنجح هذه الدبلوماسية الأمريكية في مناطق أخرى من العالم ! وخاصة المناطق التي لا تجتمع فيها كل ظروف النجاح في حالة كوسوفو . كذلك نشك في إمكانية نجاح ريتشارد هولبروك في استخدام ذلك الأسلوب ، في الأمم المتحدة ، حيث عينه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون سفيراً للولايات المتحدة ، مكافأة له على نجاحه في البوسنة ؛ أو كوزير للخارجية الأمريكية في حالة تولى نائب الرئيس آلجور المسئولية.

ويعتقد ريتشارد هولبروك أن نجاحه في البوسنة و التوصل إلى "اتفاق ديتون للسلام" قد ساعده على "حل قضية كوسوفو" . بمعنى انه عندما يتحدث مع الرئيس ميلوسيفيتش عن ضربات جوية يقوم بها "الناتو" فهو جاد ولا يهوش . فعندما تحدث إليه عام ١٩٩٥ حول حل "قضية البوسنة" كان يعنى ما يقول . أنه يقول لميلوسيفيتش "نفذ ما نريد ...وإلا"

لكن استغرق هذا من الولايات المتحدة الأمريكية حتى تصل إلى هذه النقطة ، سبعة أشهر من التحضير، بعد دخول القوات الصربية و استخدام "التمشيط العرقي"، سبعة عشر قتل فيها المئات و تحول عشرات الآلاف من ألبان كوسوفو إلى لاجئين بعد أن أحرقت قراهم عن آخرها . ولا يهم اللغو عن مسئولية هذا التأخير ، فقد حدث في البوسنة من قبل . لكن ريتشارد هولبروك يلقى بمسئولية التأخير على "محامى التحالف الغربي والناتو" الذين طالبوا بضرورة اتخاذ قرار جديد من "مجلس الأمن" بالتدخل، إذ لابد من وجود سند قانوني دولياً" لكن القضية أصبحت تدور في

"دائرة مفرغة"، إذ أوضحت روسيا أنها ضد التدخل ، وبشكل واضح ، إذا ما نوقش الأمر في "مجلس الأمن" فستستخدم "حق الفيتو" لإيقاف القرار .

وقال السكرتير العام للناتو جافيير سولانا أن من حق "الناتو" أن يتدخل دون انتظار لقرار من "مجلس الأمن" ، في حالة نشوب أزمة إنسانية، كذلك الكارثة التي كانت تهدد اللاجئين إلى العراء و الصقيع قادم. ولعبت حكومة العمال البريطانية دوراً كبيراً في أن تتخذ الحكومات الأوربية الأخرى موقفاً حاسماً . أما حكومتا إيطاليا و ألمانيا فلم تترددا في الموافقة على توجيه الضربات ، رغم أن الحكومة الإيطالية برئاسة برودى قدمت استقالتها لأنها لم تحصل على ثقة البرلمان ، أما الحكومة الألمانية ، فكانت على وشك التغيير لاستقبال حكومة جديدة قادماً بقيادة الحزب الاشتراكي – الديمقراطي المتحالف مع الخضر.

لكن في النهاية نجحت "دبلوماسية الضربات الجوية" الجديدة التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية ،في عالم ما بعد"الحرب الباردة ". فقد كانت طائرات "الناتو" في وضع الاستعداد لتضرب ، وهو يعود إلى بلجراد في جولة مفاوضاته الأخيرة مع ميلو سيفيتش . وكان هولبروك لا يترك أدق التفصيلات . فعلى سبيل المثال صمم أن يكون اللفظ المستخدم عند الانتخابات في كوسوفو أن"تشرف SUPER VICE" منظمة الأمن والتعاون في أوربا " على الانتخابات ، لا أن "تراقب OVER SEA" المنظمة الانتخابات كما كان ميلو سيفيتش يريد .

وكان هولبروك يبدى دائماً تبرمه من الدول الأوربية التي يعرفها جيداً ، فقد كان بين عامي ٩٣،١٩٩٤ سفيراً للولايات المتحدة الأمريكية ببون، ثم بعدها حتى عام ١٩٩٦ كمساعد لوزير الخارجية الأمريكية للشئون الأوربية و الكندية . ثم كانت له علاقة بدول "مجموعة الاتصال"، عندما بدأ دبلوماسيته المكوكية في البلقان ، وفي أوائل عام ١٩٩٦ ، اتهم هولبروك الدول الأوربية ، بأنها كانت "نائمة في العسل" وهو يطير في دبلوماسيته المكوكية بين أثينا و أنقرة ليمنع اليونان وتركيا عضوي "الناتو" من الدخول في حرب بينهما ، خلافا على إحدى الجزر الصغيرة غير المسكونة في بحر إيجة . وكان الأوربيون في بعض المناسبات ، فيتهمونه انه في تلك الدبلوماسية يندفع "كالثور في محل صيني". ويقولون انه لم يلق نجاحاً في كل مهماته الدبلوماسية التي كلف بها ، فقد فشل عندما عينه الرئيس بيل كلينتون مبعوثاً له ليحل المشكلة القبرصية العويصة ، والتي بدأت تتعقد اكثر باحتلال القوات التركية للجزء الشمالي من تلك الجزيرة عام ١٩٧٤*.

وبسبب دبلوماسيته "العاصفة" تلك ، أصبح قريباً من الرجال الأقوياء مثل الرئيس ميلوسيفيتش، و كذلك الرئيس الفليبيني الدكتاتور الراحل فرديناندو ماركوس ، ربيب أمريكا ، عندما كان مساعداً لوزير الخارجية لشئون جنوب – شرق آسيا ، في عهد الرئيس جيمي كارتر . لكن

---

* اقرأ كتابنا : قبرص بين أنياب حلف الأطلنطي – عام ١٩٧٦.

ما حدث هذه المرة ، أنه عزز من قوة الدكتاتور اليوجوسلافي ميلوسيفيتش ، ويقول بعض المراقبين انه لم يكــن يملـك غـير التعـامل مـع ميلوسـيفيتش ، الـذي يمسـك بـين يديـه جميـع أعمـدة السـلطة : البوليـس ، و الجيــش ، والمالية، ووسائل الإعلام . لم يكن هناك من يمكــن مفاوضتـه للتوصـل إلى أي شئ في كوسوفو .

وكافاه الرئيس الأمريكي بيل كلينتون على كل إنجازاته للولايـات المتحدة ، بأن عينه في شهر يونيو ١٩٩٨ ، كمندوب لبلده في الأمم المتحــدة، ويعتبر أقوى منصب دبلوماسي أمريكي ، بعد وزير الخارجية.

[١٠] خاتمة: ما بعد الاتفاق

خاتمة: ما بعد الاتـفـاق

المهم في أي اتفاق أن ينفذ، فما أسهل ما يكتـب علـى الـورق، طالما أنه لا يراعى ظروف التنفيذ الصالحة لكل الأطراف.

وبعـد عقـد الاتفـاق بـين المبعـوث الأمريكـي ريتشـارد هولـبروك والرئيس ميلوسيفيتش أتلكأ الأخير في سحب قواتـه مـن كوسـوفو، واسـتمر مقاتلو"جيش تحرير كوسوفو"في قتـالهم لأنهـم لم يلـتزموا بـأي اتفـاق، ولم يعد اللاجئون الألبان إلى ديارهم، فهم لا يصدقوا وعود الصرب. فبعد أسبوع واحد من عقد الاتفاق أنفجر القتال مرة أخرى، وعـاد اللاجئـون إلى التـلال. وقال اللاجئون من قريتي دراجو بيليي وماراليا، اللتـان تبعـدان إلى جنـوب غرب بريستينا بخمسة وأربعون كيلومتراً، لمراسل صحيفة الفينشيال تـايمز البريطانية [١٩٩٨/١٠/١٧] أن قوات الأمن الصربية وجهت إليهم المدفعية الثقيلة ليلاً، وهم يجرون إلى العراء. وضربتهم طائرة، بمدفـع رشـاش، ولم يأخذ اللاجئون حذرهم، اعتقادا منهم أن الطائرة من طائرات"النـاتو". ذلـك أن الرئيس اليوجوسلافي قد وافق على أن تقوم طائرات النـاتو غـير المسـلحة بمراقبة التزام القوات الصربية بوقـف إطـلاق النـار، وبعـودة اللاجئـين إلى ديارهم.

وبـدأ مقـاتلو"جيـش تحريـر كوسـوفو"في الظهـور بعـد أن كـانت حكومة بلجراد تعتقد أنها قد قضت عليهم.

وسقطت الثلوج على الجبال في أواخر شهر أكتوبر الذي عقد فيه الاتفاق، وهي سلسلة الجبال التي تفصل ألبانيا عن كوسوفو، ولجأ إليها الألبان الهاربين من "التمشيط العرقي" الذي تقوم به ضدهم القوات الصربية. وغرقت سفوح الجبال في الأوحال، وارتفع منسوب مياه الأنهار بسبب الأمطار الغزيرة. وبعد أسبوع من ميعاد سحب ميلوسيفيتش لقواته من كوسوفو، مازال عشرات الآلاف من اللاجئين الألبان يقيمون في العراء في ذلك الجو القارص، خائفين من العودة إلى ديارهم، إذ لا يثقون في وعود ميلوسيفيتش، الذي كذب مراراً من قبل.

ومازال رجال البوليس الصربي موجودين في القرى يعيشون في منازل الفلاحين اللاجئون إلى التلال، وهم مسلحون، رغم اتفاق كوسوفو.

ويصف مراسل الايكونوميست ما يحدث في قرية دولوفو الكوسوفية [عدها الصادر في ١٩٩٨/١٠/٢٤] التي هاجمها الصرب في شهر مايو ١٩٩٨، فيقول أن: "عشرين رجل بوليس صربي يقيمون بمنازلها المهجورة، يراقبون الطريق المؤدى إلى الأرض التي استولى عليها مقاتلو "جيش تحرير كوسوفو" وحفر البوليس الأربعة أحرف الأولى بالسيريالية التي ترمز إلى "الوحدة هي التي تنقذ الصرب"، وحفرت جملة أخرى من كلمات "جيش تحرير كوسوفو" تقول "صربيا بعيدة عنا بعد طوكيو". ! وهناك مائتي قرية أخرى مثل دولوفو، بيوتها محروقة، ومهدمة، ومهجورة. وقليل من اللاجئين الذين يصل عددهم إلى ربع مليون

ألباني، عاد إلى دياره. ويذهب آخرون إلى "أمان" المدن وسط الزحمة. ويظل اللاجئون في حركة دائمة بحثاً عن المأوى والدفء والغذاء".

ويوم ١٦ أكتوبر، مد"الناتو" المهلة التي أعطاها لميلوسيفيتش ليسحب قواته من كوسوفو، عشرة أيام أخرى، حتى يوم ٢٧ أكتوبر، وأنذره أنه إذا لم يلتزم حتى ذلك الوقت ببنود اتفاق كوسوفو، فسينفذ تهديده، بتهديد ضربات جوية. وقبلها كان سكرتير عام الناتو جافيير سولانا قد ذهب إلى بلجراد حيث وجه إلى الرئيس ميلوسيفيتش كلمات حادة، لأنه لم يلتزم بتنفيذ الاتفاق، وكان قد ذهب إلى بلجراد ليوقع اتفاقاً بطيران طائرات مراقبة فوق كوسوفو، تراقب تنفيذ الاتفاق. وقال لميلوسيفيتش:

"طبقاً لمعلوماتنا المخابراتية، مازالت وحدات من الجيش والبوليس الصربية موجودة في كوسوفو، وكان ينبغي أن تكون قد انسحبت"

أما الاتفاق الثاني، فهو السماح لألفي مراقب مدني تحت إشراف"منظمة الأمن والتضامن الأوروبي"بمراقبة تنفيذ الاتفاقية في كوسوفو، على الأرض. وهذه تولاها وزير الخارجية البولندي برونيسلاف جيريميك، باسم"المنظمة"وذهب إلى بلجراد لتوقع، ويرأس وزير الخارجية البولندي المنظمة في هذه الفترة.

[ملاحظة هامشية] [وهذا هو عالم ما بعد"الحرب الباردة"فوزير الخارجية البولندي برونيسلاف جيريميك أحد المنشقين البولنديين

السابقين، ضد النظام الشيوعي البولندي. أما ميلوسيفيتش فكان سكرتيراً لعصبة الشيوعيين اليوجوسلافي، ثم غير الاسم ليصبح الحزب الاشتراكي الحاكم في يوجوسلافيا]

وأختبر الناتو وبلجراد خطاً ساخناً، بين بلجراد، وقاعدة الناتو الجوية بفيسيترا بايطاليا، لمتابعة أخبار "طائرات الرصد" فوق كوسوفو. آما لربط هذه الطائرات، بعمليات الرصد البرى، فقد أقام "الناتو" مركز تنسيق بمقدونيا التي لها حدود مشتركة مع كوسوفو إلى الجنوب.

ظل الرئيس ميلوسيفيتش يلعب "لعبة القط والفأر" مع "الناتو" الذي أعطاه مهلة عشرة أيام ابتداء من يوم ١٧ أكتوبر. بعددها هدده "الناتو" مرة أخرى بأنه سيضرب يوجوسلافيا ضربات جوية كما كان مقرراً من قبل، إذا لم ينفذ ما اتفق علية. خاصة والوقت يجرى بالنسبة للاجئين، وبدأ الشتاء القارص يزحف والثلوج تغطى الجبال. أرسلت قيادة "الناتو" إلى الرئيس ميلوسيفيتش جنرالان لإنذاره لآخر مرة: الجنرال ويسلى كلارك [القائد الأعلى للقوات المتحالفة في أوربا]، والجنرال كلاوس تومان [رئيس اللجنة العسكرية للناتو]. وحضر المقابلة أيضاً من الجانب الصربي، الجنرال مومسيليو ببريستيش [رئيس أركان الجيش اليوغسلافي]

وحانت لحظة الصدق بالنسبة لميلوسيفيتش ولم يكن أمامه إلا تنفيذ الاتفاق بحذافيره، وخلال المدة المتفق عليها، والتي مدتها القوات المتحالفة لمدة عشر أيام. كان أمامه بعد هذه المقابلة ٢٤ ساعة.

وعندما بدأ اللاجئون يعانون من برد الجبال الشتوي القارص، أخذوا "يغامرون" بالعودة إلى بيوتهم التي كانت كلها قد أحرقت ودمرت أجزاء كبيرة منها، وأعملت فيها قوات البوليس، السلب والنهب. لكنها على آية حال بإصلاحها يمكن أن تظللهم أسقفها بدلاً من المبيت في العراء في ذلك الشتاء الثلجي. وصحب مقاتلو "جيش تحرير كوسوفو" اللاجئين في عودتهم، وقال المراسلون الأجانب الذين شاهدوهم، أنهم يرتدون بذات عسكرية جديدة، ويمسكون بأسلحة جديدة. وكان البوليس الصربي قد ترك المنازل المهجورة قبل عودة سكانها، لكنهم تركوا وراءهم فخاخاً "إنسانية" وألغاما أرضية. وصرح متحدث باسم "جيش تحرير كوسوفو" أنه لم يقاتل القوات الصربية، وهي تتراجع إلى صربيا، لكنه رفض مطلب بلجراد الذي ساندته الولايات المتحدة، بأن يسمح لقوات صربية بحراسة بعض الطرق التي حددت بالاسم.

وصرح متحدث صربي بعد مقابلة الجنرالان الغربيان للرئيس ميلوسيفيتش بيوم واحد "أن بلجراد قد سحبت ٤٥٠٠ رجل بوليس من كوسوفو، وعادت ثلاثة فرق للجيش الوطني اليوجوسلافي إلى ثكناتها"

وعاد مقاتلو "جيش تحرير كوسوفو" إلى المناطق التي تركتها القوات الصربية، وسيصعب هذا دون شك من مهمة التفاوض مع "رابطة كوسوفو الديمقراطية" بزعامة إبراهيم روجوفا، فسيكون من الصعب على روجوفا قبول أي شروط. لكن عدداً كبيراً من الألبان اللاجئين غير المسيسين لن يقبل

الآن بغير الاستقلال التام، بعد ثمانية أشهر من "التمشيط العرقي" والقتل وحرق المنازل على مدى ثمانية أشهر كاملة.

وأدى "الاتفاق" إلى عودة "الوضع العسكري" إلى ما كان عليه قبل توقيعه بأربعة أشهر: حكومة بلجراد تسيطر على المدن الكبرى بكوسوفو، و"جيش تحرير كوسوفو" في غابات جبال وسط كوسوفو. أما بالنسبة للاجئين الألبان الذين يعانون الشتاء الثلجي في العراء، فقد أتى انسحاب القوات الصربية متأخرا. وزادت الأمطار من معاناتهم. ويخشى كثيرون، حتى من هؤلاء الذين عادوا إلى ديارهم صدق ما يقوله ميلوسيفيتش عن انسحاب القوات الصربية، إذ جربوا أكاذيبه من قبل. لكن الذين عادوا، يقومون بإصلاح دورهم المخربة المهدمة المنهوبة. أما الأطفال، وحتى أطفال الذين عادوا، فيحصدهم الموت بسبب الالتهاب الرئوي، والإسهال والقيئ.

ويسحب الرئيس ميلوسيفيتش ثمانية آلاف من قواته على الفور، أما الخمسة عشر ألفا الباقية "فعلى المهل" وتنتظر لفترة مؤقتة.

وانقضى ميلو سيفيتش عل معارضيه، في بلجراد، في الحكومة وفي وسائل الإعلام التي أصدر لها قانوناً مخيفاً لإرهابها. وهذا اتجاه نحو تشدد النظام الصربي، "وتحذيره" كما يقولون في الغرب. وطرد في هذا الإطار، مدير جهاز مخابراته الذي يثق به، وهو أحد رجاله، جوفيتا ستاينسيتش، وهو أيضاً مستشاره لشئون الأمن القومي. واكتفت وكالة "تاينوج" اليوجوسلافية الحكومية بجملة واحدة في هذا المجال تقول: نشكر المدير

السابق للإدارة العامة للأمن على خدماته، وكانت هذه هي الإشارة الرسمية الوحيدة لطرده. لكن صحف الجبل الأسود ربطت بين طرد مدير المخابرات من منصبه، ومن قبله نائب رئيس الحزب الاشتراكي الصربي الحاكم: ميلوراد فوسيليتش، بقضية كوسوفو. وقالت الصحف "ان ميلوسيفيتش يلقى بمعارضيه ليغذى ذئاب كوسوفو الجائعة نتيجة اتفاقه مع "الناتو". وتعنى الصحف بذئاب كوسوفو، هؤلاء الذين يرون أن ميلوسيفيتش قدم للناتو تنازلات عديدة وكبيرة، لا داعي لها، ويعتبر هؤلاء أن انسحاب هذا العدد الكبير من القوات الصربية من كوسوفو، هو تنازل كبير. وذكر بعض قادة الشريك الأصغر في التحالف الحاكم "الحزب الراديكالي" أنه "كان الأفضل أن تضرب صربيا جوياً، من أن يقدم ميلوسيفيتش كل هذه التنازلات".

وقد انقضت حكومة بلجراد بعد الاتفاق، على ثلاث صحف فأغلقتها، على ثلاث صحف فأغلقتها، كانت "دنيفني تلجراف" آخرها، وحكم على رئيس تحريرها سلافكو كيوروفيا بغرامة قدرها ما يقابل ١٤٣ ألف إسترليني، بعد أن نشر خطاباً مفتوحاً، هاجم فيه الرئيس ميلوسيفيتشى لسوء إدارة الاقتصاد على مدى عقد من الزمان، ولأنه خسر الحرب في كرواتيا، وفي البوسنة، والآن في... كوسوفو.

واتخذت إدارة الرئيس كلينتون قراراً من أغرب القرارات فيما بعد نهاية "الحرب الباردة" قررت "خصخصة" السلام في كوسوفو، إذ لجأت

إلى إحدى الشركات الأمريكية، لإرسال المراقبين المدنيين المطلوب إرسالهم إلى كوسوفو. وهكذا تمت خصخصة "حفظ السلام" بعد أن تمت "خصخصة الحرب". لكن هذا الإجراء يبين رغبة الحفاظ على القوات العسكرية والخبراء المدنيين العاملين بها، لحرب حقيقية محتملة لصالح البلد الغربي المعنى. لكن دلالاته بالنسبة لنا اكثر أهمية من المعنى العام: إنه هذا الإجراء يشير بشكل واضح، إلى عدم رغبة الإدارة الأمريكية في فرض "اتفاقية السلام في كوسوفو" على الرئيس اليوجوسلافي، رغم أن مبعوثاً أمريكيا هو ريتشارد هولبروك، هو الذي عقد الاتفاق.

وقالت أستاذة علوم الحرب بجامعة ساسيكس الدكتورة مارى كالدور في مقال لها نشر بصحيفة الجارديان البريطانية [يوم السبت ١٩٩٨/١٠/٣١]:

"العالم كله قلق من "خصخصة العنف" في دول العالم الثالث، وظهور الشركات الغربية التي تدرب الجيوش الخاصة، وتؤجر المرتزقة، وتستخدمها حكومات العالم الثالث، وكان المعتقد ان هذه أحد ظواهر العالم الثالث وحده،

ومهمة المراقبين الدوليين في كوسوفو، تتم تحت إشراف "منظمة الأمن والتعاون الأوروبي"، التي برزت بعد انتهاء "الحرب الباردة" وتشترك فيها ٥٤ دولة، وهي مهمة فيها مخاطرة عالية، لأن المراقبين غير

مسلحين على الإطلاق. وهذا الإجراء الذي قامت به الإدارة الأمريكية. يزيد من المخاطرة.

وقامت من قبل بعدة مهمات ماثلة إذ قامت بإرسال مراقبين أثناء الانتخابات الحرة التي جرت لأول مرة في الدول الشيوعية - السابقة. وعقدت عدة مؤتمرات حول قضايا الأمن. وأرسلت"فرقاً"مدنية صغيرة لمراقبة ما يحدث في شيشينا. وفي ناى ورنوكاراباخ.

ولا توافق الحكومة البريطانية على"تأجير"المراقبين الدوليين الأمريكيين من شركة خاصة. وهي تشارك بمائتي مراقب أي عشرة بالمائة من المراقبين الدوليين الألفين. وأكدت قبل وصولهم إلى كوسوفو على أنهم من العسكريين السابقين أو دبلوماسيين اختارتهم وزارة الخارجية البريطانية بدقه، وكذا وزارة الدفاع. وألمحت الحكومة البريطانية إلى أن "الفريق البريطاني" من المراقبين سيضم بعض العاملين بالفرقة الخاصة SOS تم اختيارهم من العاملين في مقدونيا والبوسنة المجاورتين.

ورغم أن الحكومات البريطانية أبدت قلقاً متزايداً بسبب لجوء الإدارة الأمريكية إلى شركة خاصة لإرسال مراقبين دوليين لمراقبة تنفيذ اتفاق كوسوفو، إلا أنها لم تبد قلقاً مماثلاً، عندما"اكتشفت"أن شركة"ساندلاين"الشركة"الأمنية"الخاصة، رئيس سيراليون كاباه على البقاء في السلطة ضد المتمردين عام ١٩٩٧. والسبب: أن شركة بريطانيا

تستغل ماس سيراليون، وهي نفسها شركة "ساندلاين". ان النفاق البريطاني المعتاد. و"ساندلاين"شركة مسجلة في جزر الباهاما. ويعمل بها ضباط بريطانيون من القوات الخاصة، ومن المخابرات. وازداد دورها في"الحروب الخاصة"في دول العالم الثالث بعد نهاية"الحرب الباردة"وبعد سقوط الشيوعية والأنظمة الشمولية، وانتهاء نظام"الأبارثيد"في جمهورية جنوب أفريقيا.

وشركة"دينكورب"الأمريكية، هي أكبر وأشهر شركات المرتزقة، وهي التي أخذت عقد كوسوفو. وتعمل باسم"مصادر العسكريين المحترفين MPRI"التي يعمل بها ستة آلاف عسكري أمريكي سابق بالإضافة إلى الإدارة التي يعمل بها ٣٥٠ موظفا. ومركزها مدينة الإسكندرية بولاية فيرجيسنيا، بجوار مبنى البنتاجون مباشرة. وهناك ستة جنرالات أمريكيين سابقين ومنهم من كان يعمل بوكالة المخابرات الأمريكية، بمجلس إدارة هذه الشركة التي قامت بتدريب وحدات الجيش الكرواتي التي قامت بـ"عملية العاصفة"عام ١٩٩٥، التي استولت فيها على"كرايينا الشرقية"من الصرب، وكانت هذه أول هزيمة منكرة لهم في حروب يوجوسلافيا. وهي التي تقوم الآن ببرنامج"درب وسلح"لبناء الجيش البوسني. وهو برنامج يدور حوله جدل واسع. لكن الحكومات الغربية تناقش أن هذا البرنامج يساعد على سباق التسلح في البلقان. وليس هذا موضوع كتابنا هذا.

وعلى كل حكومة أن ترتب فريق المراقبين الذي يذهب من لديهـا ، ثم تسلم الفريق للمنظمــة الأوربيـة ، ويرتـدون ملابـس مدنيـة عليهـا شـارة المنظمة.

وإلى هنا انتهي كتابنا ،

لكن"مشكلة كوسوفو"

لم تنته بعد ! !

لندن ١٩٩٨

مراقبة تنفيذ اتفاق كوسوفو الغطاء الجوى

طائرات تجسس عين في السماء تراقب تحركـات القـوات الصربيـة في كوسوفو

طائرات كانبرا بى أر ٩

الاستطلاع التصويرى: ٤٨ الف قدم

الطول : ٦٦ قدم ٥ بوصات

العرض عند الجناحين: ٦٧ قدم ١٠ بوصات

السرعة القصوى : ٥٤٧ ميل في الساعة

لوكهيد يو ٢

طائرات استطلاع عل ارتفاع جوى عالي: ٧٠ ألف قدم

الطـــــول : ٦٣ قدم

العرض عند الجناحين : ١,٣ قدم

قمر تجسس اصطناعي

ك هـ ١٢: قمر تجسس ضوئي

الطول: ٥٠ قدم

القطر: ١٥ قدم

الوزن: ١٨ طن

لاجئون ألبان في العراء في المناطق التالية

١-جنوب غرب وجنوب شرق ميلسيفو

٢-غرب بيتش

٣-درنيتشا الوسطى

٤-جنوب كومون

البوسنة: اتفاقيات ديتون ١٩٩٥

قسمت البوسنة إلى منطقتين،يحكم كل منها"حكماً ذاتياً"

مازالت قوات أرضية من"الناتو"يصل عددها إلى ٣٠ ألف جندي

متواجدة

كوسوفو

٢٠٠٠ مراقب مدني ترسلهم"منظمة الأمن والتعاون الأوروبية"

لمتابعة انسحاب وتحركات القوات الصربية وعودة اللاجئين

الألبان

والأرجح أن يكون مقر الرئاسة ببريستينا عاصمة كوسوفو

تقديرات وكالة غوث اللاجئين

٢٧٥ ألف لاجئ من البان كوسوفو، ٧٠ ألفاً خارج كوسوفو،

وعدد الذين في العراء يقدر بعشرات الآلاف.

[١١] الملاحق

ملحق [١]

التدخلات الأمريكية العسكرية

•بنما: ديسمبر ١٩٨٩

قامت الولايات المتحدة الأمريكية بإرسال قواتها إلى بنما للقبض على رئيسها نوريجا متهمة إياه أنه يهرب المخدرات إلى الولايات المتحدة، وأطلقت عليها اسم "عملية القضية العادلة"! كان أول ما فعلته القوات هو أنها أخذت تذيع موسيقى أمريكية صاخبة بالميكروفونات، حول مقر الجنرال نوريجا، لتزعجه.

•العراق: ١٩٩١- حتى يومنا هذا

شهدت "حرب الخليج" أكبر تدخل غربي في دولة مستقلة، منذ حرب فيتنام. أنشأت "القوات المتحالفة" منطقة ممنوع فيها الطيران بزعم حماية الأكراد العراقيين. ثم عادت الولايات المتحدة الأمريكية ووجهت ضربات جوية إلى العراق عام ١٩٩٤. ومازال الغرب يصوت في الأمم المتحدة لفرض العقوبات رغم معاناة الشعب العراقي.

•الصومال: ١٩٩٢- ١٩٩٥

أصابت الصومال مجاعة واسعة النطاق للحرب الأهلية التي قامت بين عدة فرق وميليشيات صومالية على إثر طردها للرئيس الصومالي السابق

محمد سياد بري. تدخلت "قوات دولية" تحت قيادة أمريكية. لكن الشعب الصومالي لم يقبل التدخل. فانسحبت القوات الأمريكية في خزي وعار، وتركت الصومال أسوأ مما كانت عليه. وارتكبت القوات الغربية فظائع مازالت تسأل عنها.

•<u>البوسنة: ١٩٩٣ حتى يومنا هذا</u>

دخلت "قوات حفظ السلام" التابعة للأمم المتحدة بعد تأخير ارتكبت القوات الصربية خلاله مذابح جماعية. مازالت قبورها تكتشف حتى الآن. وقامت طائرات "الناتو" بتوجيه ضربات جوية على مواقع صربية. وفي أواخر عام ١٩٩٥ تسلمت قوة من الناتو قوامها ٦٠ ألف جندي المسئولية من قوات "حفظ السلام" الدولية.

•<u>هايتي: سبتمبر ١٩٩٤</u>

أمر الرئيس بيل كلينتون بإرسال قوة أمريكية قوامها ٢٠ ألف جندي إلى هايتي. بعد تدفق اللاجئين من هايتي إلى الولايات المتحدة. كانت مهمة القوات الرسمية "إعادة النظام. وإعادة الرئيس أريستيد المنتخب".

•<u>أفغانستان والسودان ٢١ أغسطس ١٩٩٨</u>

بعد الانفجارين اللذين أصابا سفارتين أمريكيتين بشرق أفريقيا، أمر الرئيس الأمريكي بيل كلينتون بضرب أهداف بعينها، في السودان

وأفغانستان، بدعوى أنها تأوي إرهابيين خططوا لتفجير السفارتين الأمريكيتين. في أفغانستان ضرب معسكر قالت الإدارة الأمريكية أنه يدرب إرهابيين، أما في السودان فضربت الصواريخ كرويز، مصنع أدوية ومستحضرات طبية.

ملحق [٢]

الشخصيات الأساسية في اتخاذ القرار

•مادلين أولبريت: وزيرة خارجية الولايات المتحدة من مواليد تشيكوسلوفاكيا. كانت مندوبة أمريكا في الأمم المتحدةقبل تعينها وزيرة للخارجية. مغرمة باستخدام الولايات المتحدة للقوة. دائمة الحديث عن "الأمن" و"حقوق الإنسان". قالت في شهر مارس ١٩٩٨ "لن نقبل أن يحدث في كوسوفو، ما حدث في البوسنة". كانت الولايات المتحدة آنذاك، لا تريد أن تتحمل لا تريد أن تتحمل آية خسائر. أما والرئيس بيل كلينتون قد بدأ يعاني من إمكانية إزاحته من منصبة بعد فضيحة مونيكا لوينسكي، فقد أصبح على استعداد لأن تنفذ الولايات المتحدة، ما كانت تمتنع عنه من قبل، وما كانت تطلبه وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت التي تعتبر من الصقور. ولا شك أن الدور الذي لعبته في الأزمة الكوسوفية سيؤكد دورها المتشّدد في السياسة الخارجية الأمريكية، في السنوات القادمة.

•توني بلير: رئيس وزراء بريطانيا

يتصرف بناء على ثقته التامة من أنه لن يلقي معارضة داخلية. فهو على عكس الرئيس الأمريكي بيل كلينتون الذي يواجه انقساما في مجلس الشيوخ بين الجمهوريين والديمقراطيين، ويسود الرأي العام الأمريكي القلق من إرسال قوات بريه إلى كوسوفو بسبب الرواسب العميقة

التي تركتها حرب فيتنام، بعد توجيه الضربات الجوية ضد صربيا. وكـان هو الذي حذر الرئيس ميلوسـيفيتش، مـن أن "النـاتو" يعـني بحـق ضـرب أهداف صربيا.

وكان خلال الأزمة الكوسوفية، يزور الصين الشعبية، وكان يصرح من هناك بأن الوضع خطير وأن "الناتو" لن يسكت. وتقوى موقف توني بلير مع انتخاب المستشار الألماني الجديد شرويدر الذي كان يناقش مع "الخضـر" آنذاك تشـكيل الحكومـة الجديـدة. وكـانت إيطاليـا تواجـه أزمـة دسـتورية جديدة، أضطر معها رئيس وزرائها برودي أن يقدم اسـتقالته. أمـا الرئيـس الفرنسي جاك شيراك، فقد اتخذ الموقف الفرنسي البارد المعتاد.

وهكذا كان موقف توني بلير واضحاً بين الحكومات الغربيـة، ولم يكن متردداً على الإطلاق. وكان "النـاتو"- مـع كـل هـذه الظـروف- يحـاول يائساً الوصول إلى اتفاق محدد مع صربيا، لأن توجيه ضربات جويـة إليهـا، كان يحمل في طياته تبعات جيوبوليتكية جسيمة، بما في ذلك تحطم العلاقة مـع روسـيا. ويبـدو أن تونـي بلـير كـان يبـني حسـاباته، علـى أن أي عمـل عسكري يمكن تجنبه إذا ما إتخذ الرئيس اليوجوسلافي ميلوسيفيتش، موقفاً يعتبر "نقلة" راديكالية.

•**جيرهارد شرويدر: المستشار الألماني الجديد**

مستشار ألمانيا الجديد، من الحزب الاشتراكي- الديمقراطي الـذي كان وقت أزمة كوسوفو يشكل حكومته الجديدة بالتحالف مـع الخضـر لأول

مرة في تاريخ ألمانيا. وظل الحزب- الاشتراكي- الديمقراطي الألماني، ستة عشر عاماً في المعارضة. وكان وزير الخارجية الألماني- المقبل- من الخضر، هو جوشكا فيشر، وكانا قد وصلا إلى واشنطن حتى قبل تستسلم السلطة. وعمّدا في النار سياسة "دبلوماسية الضربات الجوية" حتى قبل تسلم السلطة رسمياً. كانت زيارتهما لواشنطن ليؤكدا لواشنطن للبيت الأبيض استمرار سياسة الدكتور هيلموت كول الخارجية، على اعتبار أن ألمانيا هي الحليف الأول في "الناتو" للولايات المتحدة الأمريكية. وكان هذا التأكيد ضرورياً، لآن وزير الخارجية الألماني الجديد هو زعيم "الخضر" ومن أنصار السلام القدامى، فجذوره معادية للولايات المتحدة الأمريكية و"الناتو" وكان قبل أن يصبح وزيراً للخارجية قد دخل في جدل حول مشاركة ألمانيا في بعثات "الناتو" العسكرية. وكانت حكومة المستشار السابق الدكتور هيلموت كول قد التزمت بالمشاركة، ووضعت تحت إمرة قيادة "الناتو" ١٤ مقاتلة تورنادو و٥٠٠ جندي إذا كانت هناك "عملية أرضية". ووافق المستشار الجديد جيرهارد شرويدر ووزير الخارجية فيشر على الاستمرار في نفس الالتزام. لكن المتحدثة الرسمية باسم شئون الدفاع إنجيليكا بير، أعلنت أنه ينبغي قبل توجيه آية ضربات للصرب في كوسوفو، الحصول عل قرار من "مجلس الأمن"، بما يحمل ذلك من استخدام روسيا للفيتو".

•<u>جافيير سولانا: السكرتير العام للناتو</u>

عالم فيزياء أسباني لامع من مدريد، انضم إلى الحزب الاشتراكي الأسباني عام ١٩٦٤، وكان في الثانية والعشرين. كان الحزب الاشتراكي

آنذاك حزباً سرياً يعمل تحت الأرض أثناء حكم الدكتاتور الفاشي فرانكو. وقضى الخمسة عشر عاما التالية من حياته. يحاول عدم انضمام أسبانيا لتحالف "الناتو". وهو الآن مسئول "الناتو" بحكم وظيفته كسكرتير عام له.

وهو أستاذ فيزياء الجوامد، حصل على درجة الدكتوراه من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن حصل على منحة دراسية من مؤسسة أولبرايت. ثم أصبح وزيرا في حكومة فيليب جونزاليز الاشتراكية الأولى عام ١٩٨٢، حيث كان وزير الثقافة. ثم وزيراً للتعليم والمتحدث الرسمي باسم الحكومة الأسبانية. وابتداء من عام ٩٢ حتى عام ١٩٩٥ أصبحت سمعته عالمية، بشغله منصب وزير خارجية أسبانيا، خلال الأزمة البلقانية. وكان هو الذي اقترح "الشراكة من أجل السلام" على "الناتو" الذي أصبح له بهذا قدماً في دول أوربا الشرقية- الشيوعية السابقة التي أرادت الانضمام "لتحالف الناتو".

وعندما استقال البلجيكي ويلي كليس كسكرتير عام "للناتو" على إثر فضيحة فساد، أصبح جافيير سولانا سكرتيراً للناتو. وفي عهده تولى "الناتو" مسئولية "حفظ السلام" في البوسنة، وتوسع الناتو شرقاً. ولما غضب من "لعبة القط والفأر" التي يلعبها الرئيس ميلوسيفيتش في كوسوفو مع "التحالف الغربي" كان هو الذي ناقش الأعضاء الستة عشر في "الناتو" ليتخذوا موقفاً موحداً في مواجهة تكتيك ميلوسيفستش.

وهو أحد المرشحين الأقوياء لمنصب "رئيس اللجنة الأوربية"، لـ"الاتحاد الأوربي" بعد نهاية فترة جاك سانتير. لكنه صرح بأنه يفضل العودة إلى أسبانيا ليشارك في كفاح بلده السياسي.

•الجنرال ويسلي كلارك

القائد الأعلى لقوات التحالف الغربي" وهو أمريكي من مواليد شيكاغو، وإن كان قد تربى بولاية أركانساس، يعني "بلديات" الرئيس بيل كلينتون. لكنه، على عكس رئيسه الأمريكي، خدم في فيتنام كقائد لفرقة مدفعية، وجرح جرحاً بليغاً. فشغل بعدها عدة مناصب تتطلب خليطا من العسكرية والدبلوماسية. وهو الذي كتب خطب الجنرال هيج في الأمن القومي، عندما كان مستشارا للرئيس رونالد ريجان، ثم لما أصبح وزيرا للخارجية الأمريكية. وهو الذي وضع خطط الإستراتيجية العسكرية لمكافحة تجارة المخدرات في أمريكا اللاتينية.

وضع الجنرال ويسلي كلارك "أمجاده" الأمريكية في البوسنة، فكان هو الذي وضع خطط "الناتو" لتوجيه الضربات الجوية للصرب، وهو الذي رتب المساعدات العسكرية لفيدرالية المسلمين- والكروات بالبوسنة. ووصل عمله في البوسنة إلى "القمة" عندما نسق العمل العسكري في البوسنة ضد الصرب، مع العمل الدبلوماسي الذي كان يقوم به المبعوث الأمريكي ريتشارد هولبروك، والذي انتهى باتفاقيات ديتيون للسلام في البوسنة"، بعد أن أجبرت "الضربات الجوية" الصرب للذهاب إلى مائدة المفاوضات.

•<u>يفيجيني بريماكوف</u>

رئيس الوزراء الروسي الذي وافق عليه البرلمان الروسي "الدوما" بعد رفضه لمرشح الرئيس الروسي يلتسين الأول فيكتور تشيرنوميردين. وبنى سمعته على أنه الحافظ لمصالح روسيا الوطنية،. رغم أن هامش تحركه ضيق للغاية. واستطاع أن يستغل علاقته القديمة كمراسل لصحيفة البرافدا في بغداد ثم القاهرة في الستينات، أن يتحرك في هذا الهامش الضيق مع العراق ومع صربيا.

لكن هذا الدور لا يمكن أن ينجح دائماً مع انهيار روسيا، ونهاية دور الاتحاد الفيدرالي السوفيتي كقوة عظمى على الساحة الدولية،. والذي صحبه انهيار اقتصادي لا مثيل له. من هنا التحرك المحدود لربيبه وزير الخارجية الروسي إيجور إيفانوف، الذي صرح بقولة: من أن ضرب يوجوسلافيا، سيعود بالعالم إلى عصر "الحرب الباردة"، ويدفن اتفاقيات ديتيون للسلام في البوسنة، ويؤدي إلى تدهور العلاقات بين روسيا و"الناتو". وهذه تهديدات ثلاث، لكنها لن تزيد عن مجرد "صرخات" في الهواء، فلو سحبت روسيا ممثلها عند "الناتو" فهي التي ستخسر أكثر. وليس هناك أهمية تذكر للدور الروسي في السلام بالبوسنة، وكذا إمكانياتها في مساندة أي عملية عسكرية.

ولكن إذا "كسر" رئيس الوزراء الروسي يفيجيني بريماكوف حاجز مقاطعة يوجوسلافيا للحصول على السلاح، الذي تحارب به في

كوسوفو ضد الألبان، ويمكنها أن تقدمه لصرب البوسنة، يصبح هذا أمر خطير للغاية لكن يجمع المراقبون أنه لا يمكنه أن يفعل هذا. ففي اللحظة التي "يكسر" فيها حظر السلاح ليوجوسلافيا، يسحب "صندوق النقد الدولي" مساعداته المالية لروسيا، وهي في أمس الحاجة إليها. وهي في وضع الانهيار الحالي.

المراجع

تطلب هذا الفصل لأن له طبيعة مستقلة خاصة، مراجعاً خاصة:

1- UN SECURITY COUNCIL RESOLUTION 1199, SEPTEMBER 23, 1998.

2- AVIATION WEEK AND SPACE TECHNOLOGY, OCTOBER 12, 1998.

3- INTERNATIONAL HAROLD TRIBUNE, MARCH 9, 1992.

4- "AIRSTRIKE DIPLOMANY UPS THE ODDS," BY SEUMAS MILNE AND RICHARD NORTON- TAYLOR, THE GUARDIAN, OCTOBER 14, 1998 (P.14).

5- THE FINANCIAL TINES, OCTOBER 24, 1998.

كتب للمؤلف

•ثورة الصومال —نفذ—

مكتبة مدبولي —القاهرة— ١٩٧٤

•آفاق التعديد في مصر —نفذ—

مؤسسة روز اليوسف—القاهرة— ١٩٧٤

•موقف الكنيسة المصرية من إسرائيل والصهيونية—نفذ—

دار القاهرة للثقافة العربية—القاهرة— ١٩٧٥

•شيلي: الثورة والثورة المضادة —نفذ—

دار الثقافة الجديدة —القاهرة— ١٩٧٦

•قبرص بين أنياب حلف الأطلنطي

القاهرة —١٩٧٦

•اليهود والصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية

دار العربي للنشر —القاهرة— ١٩٧٧

•عاصفة على قرن أفريقيا

القاهرة— ١٩٧٧

•"ربيع براج" وشتاء موسكو القارص -نفذ-

١٩٧٨

•"تضامن" تواجه النظام الشيوعي -نفذ-

١٩٨١

•تسلل المصالح الأمريكية إلى الوطن العربي -نفذ-

دار الهمذاني -عدن- ١٩٨٤

•كارثة العصر: الإنسان يدمر كوكبه

دار سعاد الصباح -١٩٩٢

•حرب البوسنة والهرسك

دار المستقبل -القاهرة-١٩٩٢

•حريق القاهرة: في الوثائق السرية البريطانية

سلسلة كتاب الهلال -مؤسسة دار الهلال يناير ١٩٩٦

ترجمات:

*تطور الاقتصاد السوفيتي بقلم يوري بروشوك -نفذ-

مكتبة يوليو -القاهرة- ١٩٦٥

*العصر الذري مجموعة مقالات علمية -نفذ-

مكتبة يوليو -القاهرة- ١٩٦٦

*اصل الأرض والكواكب تأليف ب.ليفين -نفذ-

دار الكاتب العربي -القاهرة- ١٩٦٨

*نظرية في أصل الأرض بقلم الأكاديمي اوتوشميت -نفذ-

دار المعارف -القاهرة- ١٩٦٩

*القمر في انتظارنا بقلم روبرت خوزيه -نفذ-

سلسلة كتاب اليوم -١٩٦٩

*عصر الإنسان أم الروبوت بقلم ج. بولكوف

دار الثقافة الجديدة -القاهرة- ١٩٧٣

*اليسار الجديد بقلم بولشاكوف -نفذ-

دار الثقافة الجديدة -القاهرة- ١٩٧٦

*امبريالية المساعدات بقلم تيريزا هايتز

دار ابن رشد -بيروت- ١٩٧٩

*عبد الناصر ومعركة الاستقلال الاقتصادي -مراجعة-

دار الكلمة عام ١٩٨٠

*ثورة الساندينستا -نفذ-

دار الهمزاني -عدن- ١٩٨٤

*أصول الحروب: جاكوبوتيمرمان

دار الثقافة الجديدة -١٩٨٥

*المخابرات الإسرائيلية ٨ طبعات في القاهرة وبيروت وعدن

*حرب الخليج والنظام العالمي الجديد -مكتبة مدبولي-١٩٩١

*صناعة الفقر العالمي -تيريزا هايتر -الأهالي-١٩٩١

*الاستعداد للقرن الواحد والعشرين بول كبندي -١٩٩٣

مكتبة مدبولي -القاهرة

تحت الطبع:

ثورة ١٩٨٩ تأليف. مارتون اش.


TOBGY
PRESS
TEL:3562364
شركة مطابع الطوبجي التجارية



ألبان كوسوفا والحرب فى البلقان

الهدف الأساسى غير المعلن هو فرض الهيمنة الأمريكية على الحلفاء الغربيين وعلى بقية العالم، وأن يقوم "الناتو" بمهمة الأمم المتحدة. أما الهدف المعلن ، فهو إيقاف قمع الصرب لألبان كوسوفو وعددهم ١,٦ مليون نسمة والذين يشكلّون – أو بالأحرى كانوا يشكلّون قبل الأحداث الأخيرة تسعة أعشار السكان.

وحسب إعلانات "الناتو"، ينبغى أن يتحقق هذا الهدف دون تقسيم البلاد. ويأمل "الناتو" أن يقوم الجيش اليوجوسلافى نتيجة لضغوط الناتو العسكرية بإزاحة الرئيس اليوجوسلافى سلوبودان ميلوسيفيتش ، ليحل محله رئيس آخر يتفاهم مع الغرب، ويحل مشكلة كوسوفو. ولو أبدى الرئيس ميلوسيفيتش "تفهماً" وخضع لمطالب "الناتو" كاملة فقد يبقى فى منصبه . لكن واضعى هذه الخطة لا يعرفون نفسية أى شعب فى الأزمات، ولم يقرأوا تاريخ الصرب ولا حروب البلقان وتركيبة شعوبه. فالمؤكد أن ضربات "الناتو" تثير حماس الصرب، فتجعلهم يلتفون حول رئيسهم ناسين كل الخلافات. وقد هب الصرب بالفعل للدفاع عن وطنهم المحاصر، أما الضحية فهم ألبان كوسوفو الذين بدأت المسألة برمتها لحل قضيتهم ، وتحولت قضيتهم لتصبح قضية لاجئين ، تماماً ، كما حدث لقضية فلسطين .

مجدى نصيف